التنظيمات الجهادية المعاصرة وأسباب نشأتها

ID No.3767

(PP 15 - 42)

https://doi.org/10.21271/zjhs.25.1.2

محمد شاكر محمد صالح
عضو مجلس النواب العراقي
charboty78@hotmail.com

هاوژین محمد محمود
كلية العلوم الإسلامية/ جامعة صلاح الدين-اربيل
hawzheen.mahmood@su.edu.krd

الاستلام: 2020/09/23
القــبول : 2020/11/23
النـــــشر: 2021/02/10

ملخص

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين, أما بعد:

فإن البحث عن جذور الإرهاب والجماعات المتطرفة والوقوف على أسباب نشأتها هو موضوع في غاية الأهمية, بل إنه من أشد الموضوعات خطورة وأثراً, وأجدرها بالدرس المتأني ذي النفس الطويل, لأننا لا يمكن أن نعرّج على الحلول والمعالجات إلاّ بعد التّعرّف على حقيقة هذه التنظيمات, والتعرّف على الأسباب والعوامل التي تقف وراء ظهورها.

وبنظرة فاحصة يمكن الجزم بأن أسباب التطرف متعددة ومتنوعة, فقد يكون السبب الكامن وراءه سياسياً أو اقتصادياً, أو قد يكون متعلقاً بالتنشئة الاجتماعية, وقد يكون الباعث عليه دوافع فكرية وتربوية أو نفسية, وهكذا. فالظاهرة التي نحن بصدد الكتابة عنها هي ظاهرة معقدة ومركبة وأسبابها متداخلة.

وسنحاول في هذه الورقة البحثية أن نتعرف على هذه التنظيمات ونبرز ملامحها وأهم أسباب بروزها بغية التوصل إلى معرفة طرق اجتثاثها أو الحدّ منها.

وستكون خطة البحث على النحو التالي:

1. التعريف بأهم التنظيمات الجهادية المعاصرة.
2. الوقوف على أهم بواعث التطرف وأسبابه.

الكلمات المفتاحية: التنظيمات الجهادية، الأسباب، النشأة.

1- المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فمما لاشك فيه إن دين الإسلام هو دين السلام والتسامح والرحمة للعالمين, وقد جاء الإسلام بشريعة كاملة شاملة تخص كل مجالات الحياة, وصالحة لكل زمان ومكان, مراعية مصالح العباد, وضابطة لأقوالهم وأفعالهم بوسطية واعتدال, معلنة حرية الفكر, نابذة لأيديولوجيات العنصرية والعصبية القائمة على الغطرسة والترفع وإقصاء الآخر, ومع هذا كله إلا أن ثمة مشاكل وتحديات تواجه الشريعة والأمّة الإسلامية برمتها, فتهدد كيانها وتشوه صورتها وتعرضها للخطر بدعوى نصرة العدل ومقاومة الظلم وحماية المستضعفين, ومن أبرز تلكم التحديات تنامي الفكر التكفيري الجهادي لطائفة من أصحاب العقول المنغلقة الذين عطلوا عمل العقل جرياً وراء الأوهام والشبهات, فعصفت زوابعها أذهان البسطاء والجهال, فكان من نتيجته ميلاد التطرف الفكري الذي يعتبر اللبنة الأولى لجميع أعمال العنف والإرهاب. وقد كثر في يومنا هذا من يحمل هذه الأفكار الناتجة عن قلة التفقه في الدين, والجري وراء الأهواء والشبهات, والابتعاد عن العلم وعن العلماء, وكان من نتاجه أن ظهرت تنظيمات جهادية متطرفة منتشرة في كثير من البلدان الإسلامية مستغلة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية في البلدان المتواجدة فيها.

ونظراً لأهمية الموضوع وخطورته جاء هذا البحث ليعرف بأشهر وأخطر التنظيمات المنتشرة في يومنا هذا, ويبرز ملامحها وأهم أسباب بروزها بغية التوصل إلى معرفة طرق اجتثاثها أو الحدّ منها.

فاقتضت طبيعة الموضوع، والمادة العلمية المجموعة له وضع خطة تبدأ بمقدمة ومحورين وتنتهي بنتائج البحث، تناول المحور الأول التعريف بأهم التنظيمات الجهادية المعاصرة (الدولة الإسلامية "داعش", جبهة النصرة, الجبهة الإسلامية, جماعة بوكوحرام,

أنصار الشريعة الليبية, أنصار بيت المقدس), وذلك في ست نقاط, في حين اختص المحور الثاني الوقوف على أهم بواعث التطرف وأسبابه. وذلك في أربع نقاط أساسية, ثمّ جاءت الخاتمة لتبين أهم النتائج .

ختاماً نقول: هذا البحث المتواضع هو ثمرة جهدنا، فما كان فيه من توفيق فيما قصدنا فمن فضل الله ومَنِّه الذي يؤتيه من يشاء، وإن كانت الأخرى، فحسبنا إننا اجتهدنا راجين من الله تعالى النية الصادقة فيه.

2- التعريف بالتنظيمات الجهادية المعاصرة

التنظيمات المتطرفة المعاصرة عبارة عن جماعات مسلحة استغلت الفكر الجهادي السلفي لخدمة أهدافها, وغالباً ما تشترك هذه الجماعات في قضايا وأفكار متعددة كـ: قضية الإيمان, والجهاد, والحاكمية, والولاء والبراء, وتكفير المخالف, وغير ذلك, ويرون أن ما يقومون به من القتل والتخريب والتخويف والعنف إنما هو خدمة لقضيتهم الأساسية وهي العقيدة. وقد كثرت هذه التنظيمات المتطرفة في الآونة الأخيرة لأسباب عدة. ويمكن ذكر أهم تلك التنظيمات بروزاً في الساحات القتالية فيما يأتي:

2-1 **الدولة الإسلامية-داعش-** :

شهد العراق في الآونة الأخيرة موجة إرهابية شرسة شنها عليه إرهابيو تنظيم " الدولة الإسلامية في العراق والشام" والذي اشتهر إعلامياً باسم (داعش).

كلمة داعش مختزل من: (الدولة الإسلامية في العراق والشام), وهو تنظيم إرهابي مسلح يتبنى الفكر السلفي الجهادي (التكفيري), بالإضافة إلى أفكار ورؤى الخوارج, ويهدف المنظمون إليه إلى إعادة ما سموه "الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة" وتواجد أفراده بكثرة في العراق وسوريا, واتخذ منهما مسرحا لعملياته.(إبراهيم, 2015م, 116, وسري الدين, 2015م, 13).

لقد انبثق تنظيم داعش من تنظيم القاعدة في العراق, فتعود أصول هذا التنظيم إلى عام 2004م, حين شكل أبو مصعب الزرقاوي, تنظيما أسماه بـ" جماعة التوحيد والجهاد" عندما كان مشاركا في قوات المقاومة ضد القوات التي تقودها الولايات المتحدة والحكومات العراقية المتعاقبة بعد غزو العراق عام 2003م, متكئاً على حصيلته القتالية ضد الروس في أفغانستان أواخر الثمانينيات ومستفيداً من معسكرات تدريب المسلحين العائدين من أفغانستان التي أنشأها في التسعينيات الميلادية، وتُصنَّف بأنها من أخطر الحركات الإرهابية في العالم, وقامت بعدة هجمات في العراق من بينها تفجيرات انتحارية وإعدام رهائن, ومهاجمة مدينة كربلاء الشيعية التي راح ضحيتها عدد كبير من الشيعة, كما وتبنى التنظيم عمليات استهدفت قوات الاحتلال والتحالف وبعض السفارات, وقد وصلت الهجمات التي نفذتها إلى أكثر من (50) هجوما خلال فترة وجيزة من السنة وكانت معظمها مركزة على مدينة بغداد. (عبدالحكيم, 2015م, 260-261, و الحيدري, 2015م, 172).

لم يمض الزرقاوي طويلا حتى عرف بزعيم ما يسمّى بـ(قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين)الذي اشتهر بـ (تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين) وهو فرع من فروع تنظيم القاعدة في العراق, بعد أن بايعت(جماعة التوحيد والجهاد) أسامة بن لادن. مقدمةً ولاءها له, زادت هذه المبايعة بين الطرفين, من قوة التنظيم وصلابته واتساع قاعدته, إذ أضفت على منظمته هيبة تنظيم القاعدة واحترامه, فساعدت على استقطاب عدد كبير من أنصار القاعدة إلى شبكة الزرقاوي من دول الجوار كافة, بالإضافة إلى استقطاب الشباب العراقي الذي يسعى لمواجهة الاحتلال الأمريكي لبلاده, كل ذلك كان سببا في استمرار تنظيمه, واستمرار عملياته النوعية, كضرب المنشئات النفطية, وغيرها من منشئات البنية التحتية, وقتل واستهداف المقاولين والعاملين في مشروعات المعونة الأمريكية, فكثف التنظيم من عملياته إلى أن صار واحدا من أقوى التنظيمات المنتشرة والمقاتلة في الساحة العراقية, ورمزاً بارزا للحركة الجهادية في تلك الفترة.(عبدالحكيم, 2015م, 262-263).

في كانون الثاني عام 2006م حاول الزرقاوي تأسيس جماعة جهادية سنية جديدة, حيث تم عقد حلف بين "تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين" والجماعات السلفية الجهادية الصغيرة, أطلق عليها" مجلس الشورى المجاهدين" بصفة مبدئية, لإدارة الصراع في مواجهة المحتل الأمريكي والعملاء من المرتدين على حدّ تعبيرهم, والذي ضم سبعة, فصائل إرهابية مسلحة, وعين عبدالله رشيد البغدادي,أميراً لإمارة المجلس, وكانت تلك رغبة من الزرقاوي أراد بها حصر العمليات النوعية تحت قيادة مركزية, وضبط شبكته وجماعته, وتحضيراً لإعلان ما هوأشمل.(البكري, 2014م, 78, والهاشمي, 2015م, 31-32).

لكن لم تمض أشهر قليلة حتى لقي أبو مصعب الزرقاوي حتفه في غارة أمريكية استهدفت منزله في محافظة ديالى شرق العراق. كانت تلك هي البداية لظهور تنظيم ((داعش)) أو الدولة الإسلامية في العراق على يد الزرقاوي.(عطوان, 2015, 103).

بعد مقتل أبي مصعب الزرقاوي عام 2006م, وقع تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين في أوقات عصيبة. فقد أُعلن عن وريث للزرقاوي بتوصية وتزكية من ((أيمن الظواهري))، وهو أبو أيوب المصري المعروف باسم أبو حمزة المهاجر, زعيما لتنظيم القاعدة في العراق, وبعد توليه قيادة التنظيم سعى لإنشاء دولة أو إمارة إسلامية في العراق تجمع شتات الفصائل السنية ويختصر كل تلك التنظيمات ويجمع كل التشكيلات الأصولية المنتشرة على الأراضي العراقية, ففي تشرين الأول عام 2006م أعلن ((مجلس شورى المجاهدين)) تشكيل وتأسيس دولة إسلامية في العراق, كبذرة لإعادة تأسيس الخلافة الإسلامية, تحت اسم اتفق عليه الجميع وانضووا تحت لوائه, وهي "دولة العراق الإسلامية" هذا هو الاسم الغالب رسمياً, وكانت تسمى أيضا بـ(الدولة الإسلامية في العراق) وتعرف اختصاراً بـ((الدولة الإسلامية))، واختار لقيادتها أبا عمر البغدادي, وضمت الدولة "بغداد والأنبار وديالى وكركوك وصلاح الدين ونينوى وأجزاء من محافظتي بابل وواسط, أي المناطق ذات الغالبية السنية في وسط العراق وغربه.(داير, 2015م, 120, عطوان,2015م,103, ومجموعة من الباحثين, 2016م, 274-275).

تعدّ المناطق أو المحافظات السنية أساسية بالنسبة للتنظيمات المسلحة وعلى رأسها تنظيم داعش من عدة أوجه(الهاشمي,2016م,128) :

أ. الإمكانات الاقتصادية الضخمة التي تتمتع بها هذه المناطق مثل (كركوك, وديالى والموصل), وبالتالي تتعدد مصادر الأموال, وهذا سبب رئيس في طول عمر التنظيمات المسلحة.

ب. الاستفادة من التركيبة العشائرية والدينية, إذ أن المحافظات السنية غالبيتها من طائفة وقومية واحدة, مما يسهل على التنظيمات إيجاد الحاضنة الشعبية تشاركها في حمل قضيتها المسلحة.

كانت الدواعي الشرعية لإعلان الدولة الإسلامية ترتكز على بنود أربعة: ((شرعية وعسكرية وسياسية واقتصادية))، التي أصدرتها وزارة الهيئة الشرعية تحت عنوان((إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام))، واعتبرت الدولة أنها حققت إنجازات سياسية وأمنية واقتصادية وإدارية, منقطعة النظير(ناجي, د- ت, 22)، إلا أن الواقع يحكي أن الدولة ركزت على نشر فكرها ومذهبها المتشدد المتطرف, وحرصت على تشكيل أعداد غفيرة للانتماء عسكرياً عبر التجنيد الإجباري من خلال ضم صغار السن, وتعليمهم فنون القتال والاقتحام, وزرع الكره والحقد على كل مختلف في المذهب والفكر, كما وقامت بتجنيد النساء للقيام بعمليات انتحارية تناسب بعض الخطط التكتيكية كنوع من تشتيت الانتباه, وكانوا يطالبون بزوجات لهم من العشائر المحلية, وإذا خالف أو اعترض أحد كان مصيره القتل. (عبدالحكيم,2015م, 266-267).

أدت هذه الممارسات إلى تجمّع مخزون كبير من السخط والكراهية لدى سكان المحافظات وبالأخص لدى سكان محافظة الأنبار تجاه التنظيم, فلم تتمكن دولة العراق الإسلامية من ضرب جذورها في المنطقة, إذ تسبب النهج المتشدد إلى نشوء ما يُعرف بمجالس(الصحوات), تحت اسم ((أبناء العراق)) بمساعدة أمريكية وإقليمية عربية - وهو خليط من العشائر السنية والفصائل التي كانت تقاتل الاحتلال الأمريكي-وجرى تعيين عبدالستار أبو ريشة, زعيما لهذه ((الصحوات))التي بدأت القوات الأمريكية تجنيدها وتمويلها للتصدي لتنظيم دولة العراق الإسلامية لإخراجه وطرده من مناطق الوسط والشمال السنية ولا سيما محافظة الأنبار والحدّ من خطرها, وهو ما نجح بسرعة فائقة بعد أن فقد التنظيم حاضنته الشعبية، ولجأ إلى الصحاري والمناطق النائية, بعد أن تم إخراجه في المناطق التي كان يسيطر عليها.(الهاشمي, 2015م, 123-124, وعطوان, 2015م, 104, ومجموعة من الباحثين, 2016م, 66).

رغم نجاح الاستراتيجية الأمريكية الجديدة ضد تنظيم القاعدة ودولته الإسلامية, إلا أن هذه الدولة ظلت تشكل خطراً كبيراً, وتمضي قدماً في أجندتها الطائفية ففي آب عام 2007م, شنّت سلسلة من الهجمات المتتابعة, استهدفت الطائفة اليزيدية في البلدات الكوردية مما أدى إلى وقوع كثير من القتلى والجرحى, وفي أيلول عام 2007م, نجحت خلية تابعة للدولة الإسلامية في اغتيال الشيخ عبدالستار أبو ريشة زعيم قوات الصحوات بواسطة عبوة ناسفة مزروعة على الطريق بالقرب من بوابة منزله في الرمادي, بتخطيط من وزارة الأمن في الدولة.(عطوان,2015م, 104-105).

"لكن استمرار الصحوات ونجاحها في مواجهة ((الدولة))، وطردها من غالبية مناطق نفوذها, مثّل تحدياً كبيراً وتراجعاً مؤثراً, وبقي وجودها افتراضياً عبر مواقع الإنترنيت واليوتيوب, واعترفت ((الدولة)) بهذا السقوط, وبلغ تمويل الجيش الأمريكي للصحوات بـ 200 مليون دولار شهريا, وبلغ عدد رجال الصحوات 100 ألف رجل عام 2008 م, وهو العام الذي بدأت فيه ((دولة العراق الإسلامية)) تستعيد قوتها واستراتيجيتها, مستغلة التخبط والتبدل في الأجندة الأمنية الحكومية العراقية, وتغير سياستها من استثمار الصحوات على استهدافها واستهداف عناصر المستهدفين أساسا من ((القاعدة)) وقواتها, حيث ساعد هذا الأمر إلى عودة ((القاعدة)) وقيامها بعدد من العمليات الكبيرة من أيلول عام 2009 م, وحتى نيسان عام 2010م" (عطوان,2015 م, 104-105).

في 19 نيسان عام 2010م, شنت القوات الأمريكية والعراقية عملية عسكرية على منطقة الثرثار استهدفت منزلاً كان فيه أبو عمر البغدادي, وأبو حمزة المهاجر وبعد اشتباكات عنيفة بين الطرفين واستدعاء الطائرات تم قصف المنزل ليقتلا معا. وفي أقل من شهر تم انعقاد مجلس شورى الدولة الإسلامية في العراق ليختار أبا بكر البغدادي, عضو مجلس شورى التنظيم أميراً لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق, والناصر لدين الله وزيراً للحرب.(البكري,2014م, 79, والهاشمي, 2015م, 132, وسري الدين, 2016م, 16).

كان موت قائدي تنظيم القاعدة نقطة تحول في تاريخ المنظمة, حيث يرتبط هذا التحول أشد الارتباط بأبي بكر البغدادي الذي ورث قيادة دولة العراق الإسلامية, ففي الوقت الذي كاد التنظيم أن ينتهي حدث اندلاع الحرب الأهلية السورية غَيّر مسيرة التنظيم, حيث انتهز البغدادي ذلك فرصة فأرسل أبا محمد الجولاني, إلى سوريا لتكوين الفصائل والجماعات لقتال النظام السوري, وفي أواخر العام 2011م, و بقيادة أبي محمد الجولاني تمّ تشكيل جبهة النصرة, التي أعلنت عن نفسها بسلسلة من التفجيرات وباتت رقماً صعباً ضمن المعارضة المسلحة التي تقاتل نظام الأسد, وكان لهذا الأمر أثراً في إعادة النشاط للأعمال القتالية وتحقيق انتصارات على الجبهة السورية والحصول على الأموال والأسلحة والمقاتلين من مختلف المصادر.(البكري, 2014م, 79, وسري الدين, 2016م, 16). الأمر الذي أثار قلق البغدادي خاصة بعد أن صار اسم ((محمد الجولاني)) يزاحم اسمه, وبدأ المقاتلون من مختلف الدول يتدفقون للانضمام إلى صفوف الجبهة, فحاول أن يضع حداً لتسرب المقاتلين إلى داخل الحدود السورية والانضمام إلى ((جبهة النُصرة)), فبعث بالعقيد "حجي بكر الخلفاوي", إلى سوريا للبدء في تشكيل فصيل مناوئ لتوجيهات ومواقف "محمد الجولاني" حال رفضه الانصياع لتعليمات " أبي بـكر البغدادي". وقد نجح العقيـد حجي بكر خلال أيـام معدودة في جذب قـادة تحـت سلطتهـم وإخبارهم سرا بوقت إعلان حل "جبهة النصرة" إلى "دولة العراق الإسلامية" حتى يكونوا مستعدين للمواجهة, وأبلغ بقية قادة جبهة النصرة بوجود الأمير أبي بكر البغدادي في سوريا حتى يهيئهم لتقبل قرار الحل والمبايعة.(بكري, 2105م, 40).

كان هدف داعش هو إقامة الخلافة في المناطق ذات الأغلبية السنية في العراق. وبعد مشاركتها في الحرب الأهلية السورية, توسع الهدف ليشمل السيطرة على المناطق ذات الأغلبية السنية في سوريا, فسيطرت على مساحات واسعة غربي العراق وشرقي سوريا معلنين انتهاء الحدود التي رسمتها اتفاقية سايكس بيكو.(عبدالحكيم, 2015, 271-272).

في نيسان عام 2013م ظهر شريط صوتي منسوب إلى أبي بكر البغدادي أعلن فيه مدّ نشاط تنظيمه إلى الشام, وأكـد فيه أن جبهة النصرة هي امتداد لـدولة العراق الإسلاميـة, لـذا أعلن ضم ((جبهة النصرة)) إليها ليصبـح الاسم الجديد للتنظيم ((الدولة الإسلامية في العراق والشام)), فألغى الاسمين تحت مسمى واحد, وهو الأمر الذي رفضه أبو محمد الجولاني, قائد جبهة النصرة, ونفى أن يكون شخصياً أو مجلس شورى الجبهة على علم بهذا الإعلان إذ جاء في بيان منسوب له: " نحيط الناس علماً أن قيادات الجبهة, ومجلس شورتها والعبد الفقير المسؤول العام لجبهة النُّصرة لم يكونوا على علم بهذا الإعلان, سوى ما سمعـوه من وسائل الإعلام. فإن كان الخطـاب المنسوب حقيقة فإننا لم نُستشـر ولم نُستأمر"(الجَولاني, 2013/4/11م). وأعلن تبعيته المباشر لتنظيم القاعدة الرئيس بقيادة أيمن الظواهري(إبراهيم,215م, 123, عطوان, 2015م, 16-17).

قاتلت الدولة الإسلامية في العراق والشام –داعش- في البدء إلى جانب فصائل المعارضة السورية, لكنها سرعان ما أصبحت القوة العسكرية الأقوى من بين تلك الفصائل, وبدأ بمحاربتها الواحدة تلو الأخرى, وتمكن من السيطرة على مناطق واسعة في محافظات حلب وإدلب والرقة وريف اللاذقية ودمشق وريفها ودير الزور وحمص وحماة والحسكة, ويتفاوت التواجد والسيطرة العسكرية من محافظة لأخرى , فلديها نفوذ قوي في محافظة الرقة وفي بعض أجزاء محافظة حلب, ونفوذ أقل في حمص واللاذقية. (علوش, 2015, 134-135 , و الغريب, 2015م, 350).

فالمناطق التي سيطرت عليها الدولة الإسلامية في العراق والشام –داعش- في سوريا ضمت معظم حقول النفط والغاز والتي كانت تعد أكبر مصادر التمويل لعمليات التنظيم. كما وسيطرت على غالبية المعابر الحدودية التي تربط سوريا بجارتيها العراق وتركيا. (عطوان, 2015م, 46, وسري الدين, 2016م, 123).

يقول الصحفي السوري وعضو رابطة الصحفيين السوريين هيفيدار ملا:" ..أن الهدف الأساسي لهذه الجماعات من السيطرة على البوابات الحدودية, هو التحكم بعمليات التهريب وإدخال ما تريده من معدات وأشخاص ومقاتلين, بالإضافة إلى أهمية المنطقة من حيث وجود آبار النفط, والمحاصيل الزراعية... وأن تركيز داعش على المنطقة الشرقية لسبب قرب المنطقة من العراق, الدولة الأخرى التي تجمعهم بعد دولة الشام, والمنطقة فيها ممرات توصل إلى العراق, وفيها آبار نفط وثروات وطنية, كما أن تسلمهم لمدينة الرقة كان لقربها من العراق, وربما في وجهة نظرهم, أن أول ولاية للخلافة ستكون منه". (عاكوم,2014م,90).

أما في العراق ففي تموز عام 2013م, نفذ مسلحو تنظيم داعش عملية ((هدم الأسوار)), فهاجموا سجن أبو غريب القريب من مدينة الفلوجة, وحرروا ما يقارب 500 سجين جهادي ومعظمهم من قياداته ومقاتليه. وأشّر ذاك الهجوم إلى مرحلة جديدة, بدأها

التنظيم لتوسيع مناطق نفوذه, وتمكّن في بداية كانون الأول عام 2013م, باجتياح مدن في محافظة الأنبار, غرب العراق والسيطرة- إلى حد كبير-, على أكبر المدينتين الرئيسيتين في المحافظة وهما الفلوجة والرمادي, ما يسمح لهم بحرية أوسع في التحرك بين حدود البلدين.(خواجه,2016م,121, ودایر, 2015م, 155).

وفي أقل من عام استطاع تنظيم داعش السيطرة على محافظات نينوى وصلاح الدين وأجزاء من ديالى والأنبار وكركوك, وأصبح يتحكم في نحو 40% من مساحة العراق بما فيها من حقول نفطية تنتج قرابة(80) ألف برميل نفط يومياً, ولكن مواجهاته مع القوات الحكومية بمشاركة قوات من الجيش والحشد الشعبي مدعومة بقوات التحالف الدولي, الذي يضم أكثر من(60) دولة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بغية وقف تمدده في سوريا والعراق, أفقده مناطق عدة كـ جلولاء والسعدية وقرة تبة والعظيم وحمرين في محافظة ديالى, والدور والعلم وبيجي وجنوب تكريت بمحافظة صلاح الدين. (سري الدين, 2016م, 119).

أعلنت الدولة الإسلامية في العراق والشام - داعش- التي نمت بشكل ملحوظ تحت قيادة أبي بكر البغدادي في حزيران عام 2014م, الخلافة الإسلامية ومبايعة أبي بكر البغدادي خليفة للمسلمين, وأصبح يعرف باسم أمير المؤمنين إبراهيم, ويلقب بالخليفة, وقال الناطق الرسمي باسم الدولة الإسلامية أبو محمد العدناني, إنه تم إلغاء اسمي العراق والشام من مسمى الدولة, وأن الاسم الحالي سيلغى ليحل بدلاً منه اسم" الدولة الإسلامية " فقط. (سري الدين, 2016م, 17) . إلا أن اسم داعش ظل علماً ملصقاً بهم.

كانت الدولة الإسلامية في العراق والشام المعروف بـ ((داعش)), من أخطر التنظيمات المسلحة انتشاراً في الساحة القتالية في العراق وسوريا, ومن أكثرها تطوراً على المستوى الهيكلي التنظيمي والإداري, متجاوزاً القاعدة في هيكلتها التنظيمية, إذ كانت تتسم بتركيبة داخلية فعّالة غير مسبوقة في التنظيمات الجهادية الأخرى, وهذا التطور كان مرتبطا أشد الارتباط بأبي بكر البغدادي الذي ورث قيادة الدولة وتوليتها.

اعتمدت البنية التنظيمية لـ (الدولة الإسلامية) على هيكلية هرميّة شكّل (الخليفة) البغدادي رأسها. وأشرف إشرافاً مباشراً على (المجالس) التي اعتبر كلاً منها مِفصلاً مهمّاً في مفاصل (القيادة المركزية). وكان للبغدادي صلاحية تعيين رؤساء (المجالس)، ورغم أنه كان يستشير(مجلس الشورى) في شأنهم ، غير أن القرار الأخير كان يعود له. (عنجرين,2014/7/10م), والهيكلة كالآتي:

أ- شكّل ((الخليفة)) البغدادي رأسها والذي لقب بـ(أمير المؤمنين). وأُشرف إشرافاً مباشراً على((المجالس)) التي كانت يُعتبر كلّ منها مفصلاً هامّاً في مفاصل ((القيادة المركزية)). (سري الدين, 2016م, 17).

ب- نائب الخليفة: يأتي بالمرتبة الثانية نوابه, وكان دورهم الأشراف العام على التنظيم وسير عمله وتمثيل أمير المؤمنين.(البكري, 2014م, 100).

ت- مجلس الشورى: كان من المجالس المهمة التابعة للتنظيم, فبالرغم من التطورات التي شهدها المجلس منذ إمارة الزرقاوي مروراً بأبي عمر البغدادي ووصولاً إلى أبي بكر البغدادي, إلا أن مجلس الشورى كان حاضرا دوماً, وكان عدد أعضائه يتراوح بين 9-11 عضوا, وهم من القيادات الشرعية التاريخية في التنظيم, ومن واجبات المجلس تقديم تزكية المرشحين بين يدي البغدادي لمناصب الولاة, وأفراد المجلس العسكري, وكان بإمكانه من الناحية النظرية صلاحية عزل أمير التنظيم إذا لم يقم بمهامه على الوجه المطلوب, إلا أن هذا الأمر ظل بشكل نظري فقط, كما أشرف المجلس على توفير الخدمات الصحية والاجتماعية للناس . (الهاشمي, 2015م, 181).

ث- المجلس العسكري : كان يعدّ المجلس الأهم في تنظيم داعش والذي ترأسه الأمير العسكري العام للتنظيم أو ما يسمى بـ (وزير الحرب) بجانب عدد من المساعدين أغلبهم من ضباط الجيش السابق الذين انتموا إلى التنظيم بعد عام 2006م ومنهم من كان سجنه في بوكا, سببا في تجنيده، وكان يعيّنهم البغدادي بعد أن يزكون من قِبل مجلس الشورى, وعدد أعضاء المجلس كان يزيد وينقص بحسب قوته وضعفه ومناطق نفوذه إذ كان يتراوح بين 8-13شخصاً.(, عبدالحكيم,2015م, 274, الهاشمي, 2015م, 180-181)

تولى قائد المجلس العسكري منصب نائب البغدادي، وكان الزرقاوي في السابق يحتفظ بالمنصبين، ثم تولى منصب القائد العسكري أبو حمزة المهاجر كوزير للحرب في حقبة دولة العراق الإسلامية وإمارة أبي عمر البغدادي، وفي ولاية أبي بكر البغدادي, تولى منصب القائد العسكري حجي بكر الذي جمع بين التخطيط العسكري والتواجد الميداني، فالهيكل العسكري الذي أقامه مع أبي عبد الرحمن البيلاوي, وأبي أحمد وليد جاسم العلواني وأبي مسلم التركماني ومحمد الندى الجبوري, شكّل نواة صلبة لتنظيم داعش العسكري(مناع, 2015م, 38-39).

شهدت البنية العسكرية لتنظيم الدولة الإسلامية ((داعش)) تغيرات جوهرية طالت ركائزها الأساسية خلال فترة قصيرة, بفعل تسارع إيقاع الميدانين السوري والعراقي وضراوة المعارك فيهما, وانخراط الضباط العراقيين السابقين من مراتب مختلفة ضمن صفوفها, فأحدثوا تبدلا على مستوى التنظيم والهيكل العسكري, حيث تكوّن المجلس من تشكيلات عسكرية شبه نظامية من قادة القواطع, وكل قاطع متكون من ثلاث كتائب, وكل كتيبة ضمت 300-350 مقاتلاً, وانقسمت الكتيبة على عدد من السرايا ضمت كل سرية 50- 60مقاتلاً. وانقسم المجلس على هيئة أركان وقوات الاقتحام, والاستشهاديين, وقوات الدعم اللوجستي, وقوات القنص والتفخيخ, إلا أن القرارات الكبرى كانت بيد المجلس العسكري للتنظيم, كالتخطيط الاستراتيجي, وتجهيز الغزوات وإدارتها, وعمليات الإشراف والمراقبة والتقويم لعمل الأمراء العسكريين, والإشراف على التعبئة والتدريب والتسليح.(خواجه, 2016م, 41, أبو هنية, 22/شباط/2015م).

ج- المجلس الشرعي: كان يعدّ أحد أهم مفاصل تنظيم الدولة الإسلامية نظراً لطبيعته الدينية, ترأسه قاضي التنظيم أو ما يسمى بـ (الشرعي العام), وارتبط به كل شرعي في التنظيم نزولا إلى (شرعي قاطع) داخل الولاية, كان مهمتهم البت في شرعية العمل والتصرفات التي تصدر من قبل الأفراد ومدى مطابقتها للضوابط الشرعية, وكان لهم الحق في توجيه الأحكام والعقوبات في حق المخالفين ويعد أمرهم واجب التنفيذ.(الخزاعي, 2015م, 108).

أصدر المجلس الكتب والرسائل, وكان له الدور الأبرز في صنع الحماسة والعاطفة القتالية وصياغة خطابات وبيانات البغدادي, والتعليق على الأفلام والأناشيد الإعلامية في التنظيم, ومراقبة التزام بقية المجالس بـ((الضوابط الشرعية)), واختيار((الخليفة))في حال موت الخليفة الحالي, واعتمد التنظيم على العرب والأجانب في عضوية المجلس، وغالبا ما كان أعضاؤه من المهاجرين العرب لا سيما السعوديين, وانقسم على قسمين رئيسين، الأول للقضاء والفصل بين الخصومات والنزاعات المشتركة وإقامة الحدود, والثاني للإرشاد والتجنيد والدعوة ومتابعة الإعلام.(البكري, 2014م, 101, الهاشمي, 2015م,180).

ح- مجلس الأمن والاستخبارات: كان من أخطر مجالس التنظيم الذي ترأسه((أبو علي الأنباري)), ومعه نائبان من ضباط استخبارات النظام السابق. تولى المجلس الشؤون الأمنية للتنظيم, وكل ما يتعلق بالأمن الشخصي للخليفة البغدادي, إذ تولى مسؤولية تأمين أماكن إقامة البغدادي ومواعيده وتنقلاته، ومتابعة القرارات التي كان يقررها البغدادي ومدى جدية الولاة في تنفيذها. ولعب دوراً مهماً في المحافظة على سلامة أراضي دولة الخلافة, وأشرف المجلس على تنفيذ أحكام القضاء وإقامة الحدود، وصيانة التنظيم من الاختراق، وكان لديه مفارز في كل ولاية تقوم بنقل البريد وتنسيق التواصل بين مفاصل التنظيم في جميع قواطع الولاية، كما كان لديه مفارز خاصة للاغتيالات السياسية والخطف وجمع الأموال. (البكري, 2014م, 101, و عطوان, 2015م, 38).

كانت المجالس الثلاثة المجلس العسكري, والمجلس الشرعي، ومجلس الأمن والاستخبارات هي الأقوى من بين مجالس تنظيم داعش، وارتبطت ببعضها البعض، وكلها كانت مرتبطة بالبغدادي شخصياً. وعرف عن البغدادي بأنه غالباً ما كان يتجاهل((القيادات التاريخية في التنظيم))، عند رسم الهيكلية، وكان يفضل ويعتمد على الشبكات الشخصية وعلاقات القرابة أو تلك التي أنشأها في الأنبار أيام أبي عمر ا لبغدادي, فالعلاقات الشخصية عنده هي السبب الرئيس في اختيار القيادة لأي منصب. فكل من كانوا في هذه المجالس كانوا من العراقيين خاصة(الهاشمي, 2015م, 182-183).

خ- المؤسسات الإعلامية: تمتعت وسائل الإعلام داخل هيكلية تنظيم داعش بأهمية كبيرة, إذ أدرك التنظيم منذ بدء تأسيسه الأهمية الاستثنائية لوسائل الإعلام الحديثة, لا سيما مواقع التواصل الاجتماعي, لإيصال فكره السلفي الجهادي, وجذب الأجيال الشابة من جهات الأرض الأربع إلى ميادين الجهاد في العراق وسوريا وغيرهما, فأصبح مفهوم (الجهاد الالكتروني) أحد الأركان الرئيسة منذ نشأته المبكرة عند تأسيس جماعة (التوحيد والجهاد) ثم (القاعدة في بلاد الرافدين)مروراًبـ(الدولة الإسلامية في العراق)وصولا إلى(الدولة الإسلامية في العراق والشام)ثم(الدولة الإسلامية).(سري الدين,2016م, 17-18). سخّر تنظيم الدولة الإسلامية(داعش) شبكات التواصل الاجتماعي لنشر الذعر والخوف بين الناس بطريقة لم يشهد لها مثيل في التاريخ, ويعتبر أحد أخطر الأسلحة الأساسية الفعالة التي يمكن الاعتماد عليها. واستخدم تقنيات هي الأحدث في العالم تضاهي كبريات محطات التلفزة العالمية في جودتها الإنتاجية لتوثيق أعماله الميدانية عبر صور ومقاطع الفيديو المروعة, بهدف إبراز قوة التنظيم, وبث أخبار غزواته في العراق وسوريا إلى أتباعه, وإيصال رسالته إلى أكثر شريحة من الناس لكسب عناصر جديدة تدعمه على أرض المعارك التي تخوضها عناصره.(عطوان, 2015م, 240),

د- بيت المال: عرف تنظيم الدولة الإسلامية ((داعش)) كونه الأغنى في تاريخ الحركات الجهادية, وقد فاق على تنظيم "القاعدة" الأم في العراق, وصار في حكم المؤكد أنه كان يمتلك مصادر ضخمة للتمويل, جعلت منه حالة خاصة بين التنظيمات الإسلامية

المسلحة, إذ تمايز التنظيم منذ بدء نشأته عن التنظيمات السلفية الجهادية الأخرى في عدم لجوئه إلى مصادر تمويل خارجية, والاستعاضة عن ذلك بتنويع مصادر التمويل المحلية لتغطية نفقاته, ولم يكن الحال كذلك لتنظيم القاعدة فلم يكن ليحقق ما حققه من شهرة وتنام في القوة لولا دعم نظام الطالبان له في أفغانستان.(مكاوي, 2016, 45-46, القصير, 2016/7/1م).

تضخمت مالية تنظيم "الدولة الإسلامية" وبدأ ينافس المنظمات الإرهابية الأخرى في العالم منذ سيطرته على الموصل في حزيران عام 2014م, وسيطرته على مساحات واسعة في العراق وسوريا، ولا سيما بعد إعلانه الخلافة في 2014م, إذ أصبح أكثر دقة في عمله الإداري والمالي, وباتت مصادر تمويله متعددة وواسعة, وكان البغدادي يشرف بشكل مباشر عن طريق أقاربه وأصدقائه ومساعديه على إدارة "بيت المال" وهي التسمية الإسلامية للمؤسسة المالية التي تجبى إليها الأموال, وكان هناك لجنة مختصة بالمتابعة والتدقيق. (الهاشمي, 2016,71, أبو هنية, 22/شباط/2015م). ومن أهم مصادر تمويل تنظيم الدولة الإسلامية ((داعش)) هي تجارة الطاقة, والنهب والاستيلاء على الموارد والسلع في المناطق التي يسيطر عليها, والسوق السوداء وتجارة الممنوعات, وأموال الضرائب والرسوم أو أساليب الضغط والابتزاز القسرية, وفدية تحرير الأجانب:, وعائدات الزروع. (مناع, 2014م, 103-106).

اعتنقت الدولة الإسلامية في العراق والشام - داعش- فكر التكفير, فهم يكفرون مرتكب الكبيرة ويلاحقون مرتكب المعاصي, ولا يعذرون أحداً بجهلهم. ويكفرون كل من لا ينضم إلى جماعتهم ودولتهم التي يعتبرونها دولة المسلمين, ومن لم يعلن ولاءه لها ومبايعته لأميرها فهو كافر حلال الدم. ويحرمون الديمقراطية والانتخابات والمشاركات السياسية. ويكفرون جميع الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله – وفق تصورهم لمفهوم الحاكمية- وأعوانهم ومؤسسات دولهم العسكرية والمدنية والعاملين بها, وكذلك يكفرون الحركات الإسلامية الأخرى التي لا تعلن ولاءها لداعش وأميرها. (النجار, 2015م, 15).

عمد تنظيم الدولة (داعش) من أجل تطبيق مشروعه إلى اتباع أسلوب ومنهج منظم لتدمير التاريخ والتراث والثقافة, وذلك بتدمير المواقع الدينية والأثرية في مدينة الموصل وما حولها, وتخريب التاريخ الثقافي برمّته, وقتل وذبح الأقليات الدينية, وإجبارهم على اعتناق الإسلام حسب اعتقاده وتفسيراته الخاطئة للمذهب السني أو دفع الجزية أو القتل أو الخروج من الديار, مما أدى إلى خروج كثير منهم إلى جبال سنجار والمناطق الكردية والمحافظات الجنوبية. كما وتباهى داعش بسبي نساء الإيزيديين في العراق وبيعهن كالجواري في سوق العبيد, في أكبر عملية استعباد جماعي من عصر الرسالة إلى يومنا هذا, مبرراً ذلك بأنهن مشركات وأن سبيهن وجه من أوجه الشريعة.(الحيدري, 2015م, 178).

حققت الدولة الإسلامية في العراق والشام - داعش- خلال فترة وجيزة انتصارات متتالية, وبعد غزوة الموصل وإعلان الخلافة, حصدت داعش مبايعة الكثيرين من الجماعات الجهادية أمثال, بوكو حرام النيجيرية, وأنصار بيت المقدس في شبه جزيرة سيناء, وتنظيمات يمنية وليبية متطرفة, وحركات أفغانية وباكستانية تزاحم طالبان في غلوّها وتشدّدها. وانبهروا جميعاً بأساليب قتالها الصادمة, وسرعة إنجازاتها الميدانية.((خواجه,2016م, 26).

كما شنّ عناصر التنظيم مراراً وتكراراً الهجوم على مدن أربيل ودهوك إلا أن قوات البيشمركه الأبطال تصدوا لهم وألحقوا بهم خسائر مادية ومعنوية. وقد استطاعت القوات العراقية وقوات البيشمركه وقوات الحشد الشعبي استعادة مدينة الموصل، وذلك بدعم جوي من قوات التحالف الدولي، بقيادة الولايات المتحدة، التي شنّت غارات جوية على مواقع التنظيم, وقد تم في 2017/7/10 الإعلان عن تحرير المدينة بالكامل.

2-2 جبهة النصرة لأهل الشام:

هي الذراع الرسمي لتنظيم القاعدة في بلاد الشام تتبنى الفكر السلفي الجهادي (التكفيري), تم تشكيلها أواخر2011م, بعد شهور على اندلاع الأزمة السورية, تميز أفرادها بالخبرة القتالية العالية قياساً على المنشقين عن الجيش السوري. تمّ تشكيلها بتنسيق بين تنظيم القاعدة الأم في أفغانستان وفرعه العراقي تنظيم الدولة الإسلامية, على أن تبقى حقيقة تبعية جبهة النصرة لتنظيم القاعدة الأم أو فرعه العراق أمراً سرياً. وقد تم الإعلان عنها في 2012م, وخلال فترة وجيزة أصبحت الجبهة من أكثر الفصائل المسلحة تنظيماً وقوة على الساحة السورية, حيث أنها صارت أقرب إلى (جيش صغير), منها إلى مليشيات تتبنى أسلوب حرب العصابات, فضلاً عن قيامها بشنّ سلسلة من الهجمات المعقدة والمتواصلة, وامتلاكها ترسانة ضخمة من الأسلحة, مع قدرتها على السيطرة على مساحات شاسعة في سوريا, وعلى مواقع ومنشآت عسكرية. (علوش,2015م, 134).

يتراسها زعيم يلقب بأمير الجبهة, وهو أبو محمد الجولاني سوري الجنسية, وقد قاتل في العراق إلى جانب تنظيم القاعدة, وكان عضواً في تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وهو شخصية دينية وسياسية وعسكرية في آن واحد, تليه القيادة العليا للجبهة.

ويخضع للأمير أمراء محليون يجري تعينهم لإدارة المحافظات والمدن السورية. وتشغّل قيادة الجبهة أطراً عسكرية في المحافظات المختلفة, وهي في الغالب وحدات عسكرية تُدعى ألوية وكتائب أو(سرايا), وإلى جانبها تعمل أجهزة حاكمة, شرعية وإعلامية, هدفها تقوية تأثير الجبهة على الناس, وملء الفراغ الناتج من مغادرة النظام السوري. (علوش,2015م, 175).

لم تقم جبهة النصرة بأية عمليات خارج سوريا، على الرغم من تأكيد مسئولين في سوريا والعراق على أن عناصر التنظيم دخلوا إلى أراضي الدولتين وخرجوا منها منذ تكوين الجماعة في كانون الثاني عام 2012م، كما لم تقم الجبهة بإقامة تحالف مع أي جماعة جهادية في سوريا، ولكنها تعاونت ميدانيًّا مع بعض الجماعات المنضوية تحت لواء الجيش السوري الحر، وبعض الجماعات الإسلامية مثل أحرار الشام، وصقور الشام، وأنصار الشام، كما أن للجبهة علاقات قوية مع عدد من الجماعات الأصغر في شمال وشرق سوريا، مثل مجلس شورى المجاهدين، وجيش المهاجرين والأنصار. (الزيات20/2/ 2014م).

أما الهيكلة التنظيمية العسكرية لجبهة النصرة, فهي على الشكل الآتي:

أ- المجموعات: تتألف من 15-25 شخصاً, يترأسها أمير عسكري ويميز رقم محدد كل مجموعة, تؤخذ البيعة بالطاعة التامة من قبل أفراد المجموعات لأميرها.

ب- السرايا: يتراوح عددها بين 100-200 شخص, يقودها (الأمير الميداني) ويشرف على المجموعات التابعة بحسب التقسيم المناطقي ويحاسب أمراء المجموعات على أعمالهم بحيث لا يكون هناك مكان للارتجال. وتؤخذ البيعة للأمير الميداني من أمراء المجموعات, ويتمتع بحرية اتخاذ القرارات بما يتلاءم وتطورات الميدان, باستثناء العمليات الكبرى التي تعود إلى أمراء الأقاليم.

ت- أمراء الأقاليم: هم المسؤولون عن العمل العسكري والإغاثي والدعوي على مستوى المحافظات, ويتمتعون بصلاحيات عسكرية واسعة باستثناء القرارات الجوهرية والمهمة, فهم يراجعون مجلس الشورى بشأنها.

ث- مجلس شورى المجاهدين: وهو بمثابة الهيئة العليا للجبهة وكان يتألف قبل قدوم داعش إلى سورية من 12 عضواً أبرزهم أبو محمد الجولاني(زعيم الجبهة), وأيمن الظواهري(عضو مراقب), وأبو بكر البغدادي, وأبو علي العراقي, وأبو محمد العدناني وأبو مارية العراقي وغيرهم. (المصطفى, 2013م, 11-12).

يتضمن التنظيم هيئات شرعية تقوم بتشغيل قوات من الشرطة ومحاكم شرعية, بالإضافة إلى إغاثة السكان المحليين. وللجبهة لجنة شرعية تشرف على السلوك الشرعي للقادة العسكريين وتطبيق الأحكام الشرعية, وعلى رأس الجهاز الديني يقف القاضي العام للتنظيم, فيما يعمل في المحافظات المختلفة مسؤولون شرعيون, يشرفون على السلوك الديني للقادة ويغرسون في نفوسهم العقيدة السلفية الجهادية (علوش.2015م, 177).

ومنذ النصف الأخير من عام 2012م وحتى 2013م، نجحت الجبهة في الاستيلاء على كميات كبيرة من الأسلحة الثقيلة، واستطاعت أن تشن هجمات باستخدام الدبابات، ولذلك تعد من أخطر الجماعات الجهادية في سوريا. وتمكنت وحلفاؤها من السيطرة على موارد سيادية حيوية في شمال سوريا وشرقها، شملت حقول وخطوط أنابيب للنفط والغاز، وسدودًا، ومحطات توليد كهرباء، وصوامع، وتقوم بتفعيل هذه البنى التحتية، وتهريب النفط، لتوفر دخلاً شهريًّاً يساعدها على دفع الرواتب، وشراء الوسائل القتالية، وتقديم الخدمات للسكان. كما وتقوم الجبهة بإدارة وحكم عدة بلدات ومدن في حلب والرقة والحسكة ودير الزور، وهي المناطق التي حررتها من قوات النظام، وقد أقامت نوعًا من الإدارة لتسيير الحياة فيها. وبعد تشكيل الدولة الإسلامية في العراق والشام في نيسان2013م، انشق جزء من أعضاء كتائب جبهة النصرة وانضم إلى داعش، وهو ما أدى إلى إضعاف وجود جبهة النصرة في بعض المناطق من البلاد، وخاصة في دير الزور على الحدود مع العراق، حيث سيطرت عليها داعش بصورة كبيرة، إلا أنها استعادت نفوذها بعد عودة المقاتلين الأجانب الذين سبق أن تركوها وانضموا إلى داعش، خاصةً بعد بيان أيمن الظواهري الذي جاء فيه أن الولاية المكانية لجبهة النصرة هي في سوريا، بينما تعود "داعش" إلى ميدانها الأساسي في العراق. (الزيات20/2/ 2014م).

ومنذ ذلك الوقت أصبح الصراع مفتوحاً بين ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام((داعش)) وبين تنظيم القاعدة وجبهة النصرة في سوريا فتحولت حرب الكلمات بين التنظيمين ((داعش- وجبهة النصرة) إلى حرب شاملة في سوريا, وينشط كل من التنظيمين ((داعش وجبهة النصرة)) بشكل منفصل في سوريا. فأصبحت " النصرة" كفصيل إسلامي معارض, تتقاسم مع تنظيم الدولة الإسلامية-داعش- القسم الأكبر من الجغرافيا السورية, على الرغم من أن حجم امتدادها لا يساوي ثلث حجم امتداد " داعش" في أنحاء البلاد.(عبدالحكيم,2015م, 58).

هناك تباين في الآراء بين الخبراء والمحللين والكتاب حول ماهية العلاقة بين تنظيم الدولة الإسلامية –داعش- وجبهة النصرة, هل هما وجهان لعملة واحدة يحملان نفس الفكر والمنهج وأن الخلاف بينهما سياسي وليس شرعياً, والتمايز بينهما في الاسم فقط, فليست النصرة سوى داعش؟ أم أنهما تنظيمان مختلفان وبينهما فروقات جوهرية واختلافات فكرية وتباينات منهجية.

يرى البعض أنه ليس هناك تباين كبير بين تنظيم داعش وجبهة النصرة فكلاهما يسعيان إلى دولة سنية ثيوقراطية خاضعة لقانون الشريعة.(كوكبيرين, 2015م, 99). وأن مصدر فكرهما واحد وهو الفكر الجهادي المتطرف وتنظيم القاعدة, كما أن كلا الفريقين يعملان ضمن منهجية واحدة ترتكز على السعي نحو التصدر ورفض الانضمام إلى الكتائب السورية الموجودة قبل ظهور كتائب القاعدة وغيرها, والاعتماد على العنصر الأجنبي ((المهاجرين)) والإكثار من العمليات الانتحارية (عبدالحكيم,2015م, 64).

وأجاب عماد جان القهوجي قائد الجيش اللبناني حين سئل عن الفارق بين التنظيمين بقوله: "داعش تقطع الرؤوس, بينما النصرة تطلق النار على الرأس" (خواجه, 2016م, 39) .

فالنصرة رغم محاولتها إظهار نفسها بأنها ليست كشقيقتها إلا أن سجلها حافل بالجرائم, فقد قامت في معلولا, بتخريب الكنائس وتدمير تماثيلها وسرقة محتوياتها وبيعها في السوق السوداء, بالإضافة إلى المجزرة التي قامت بها في مساكن عدرا العمالية, في 11كانون الأول عام 2013م, حيث راح ضحيتها عشرات المدنيين من الطوائف الإسلامية والمسيحية, وقامت بحرق مساكن كثيرة وقتل طبيبا وعلق رأسه في إحدى أسواق البلدة, مما أدى إلى تهجير أكثرية السكان, إضافة إلى كثير من عمليات التفجير التي أودت بأرواح المدنيين في المناطق الخاضعة لنفوذ النظام السوري. (عاكوم, 2014م, 147), كما ارتكبت مجزرة في بلدة قلب لوز بمحافظة إدلب, وأجبرت مواطني قرى جبل السماق ذات الأغلبية الدرزية على هدم مقامهم الديني, وتغيير أزيائهم التقليدي باللباس الشرعي, ومنع الاختلاط بين الرجال والنساء, وأجبرهم على التبرؤ من ديانتهم ومعتقداتهم, واعتناقهم لدين الإسلام. ومن جرائمها المصورة إعدام (56) جندياً نظامياً وقعوا أسرى عقب سقوط مطار أبو الضهور في الريف الإدلبي, وكانت أول مَن عملت بمفهوم جهاد النكاح, وأجبرت الفتيات الملتحقات بصفوفها على الزواج مع مقاتليها, كجزء من عمل الجهادي الحربي. وعملت على تطبيق الشريعة في المناطق التي كانت تسيطر عليها, ومع ذلك يتغاضى رعاتها الإقليميون, وحلفاؤها من السوريين عن كونها شبيهة داعش بسلوكياتها (خواجه, 2016م, 38) .

ويرى آخرون أنه على الرغم من وجود القاسم المشترك بينهما وهو أيديولوجية جهادية سلفية, إلاّ أن بين التنظيميين فروقات واضحة لا يخفى, منها ما تتعلق بالبنية العسكرية للتنظيمين, ونوعية العدو المستهدف والاستراتيجية المتبعة في مواجهته, إضافة إلى اختلافات عقدية بينهما في تطبيق الأحكام الشرعية.

قال المعارض السوري ميشال كيلو: "لا يجوز الخلط فيما بينهم ووضعهم في سلة واحدة, لأن ذلك يصب في مصلحة داعش.... فداعش تقول: نريد خلافة إسلامية , والذي لا يريدنا سنذبحه, إلاَّ إن النُّصرة تتحدث عن نظام إسلامي انتخابي" (كيلو,9/ 2014/1م).

يعتبر تنظيم الدولة الإسلامية-داعش- الفصيل الأقوى وتنظيماً أمميّاً, تتشكل بنيته من عراقيين وسوريين وعرب وعناصر أجنبية وافدة. وتكشف خسائره كثافة وجود المقاتلين الأجانب في صفوفه. بينما يغلُب العنصر المحلي على الطابع العام لجبهة النصرة, فأكثرية مقاتليها من السوريين, وتركز جهدها على تجنيد السكان من مناطق سيطرتها بشكل كبير, مع كونها مطعمة بمقاتلين عرب وأتراك وأوزبك وشيشانيين وطاجيك وقلة من الأوروبيين.(خواجه ,2016م, 36)

الخلافات الأيديولوجية بدأت بالظهور بين تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام-داعش- وبين جبهة النصرة, فالدولة الإسلامية ((داعش)) بدأت تطبق خطتها في الاستيلاء على الأراضي وتخطو خطوتها لإنشاء دولة على الجغرافيا السورية, وإعلان الخلافة الإسلامية -التي هي هدفها الأساسي على حد قولها-, تحكمها الشريعة الاسلامية حسب تفسيرها للشريعة, معتقدة أن جميع المدن والقرى التي تقع تحت سيطرته يجب مبايعتها وتقبل سلطتها وأيديولوجيتها الإسلامية. ولا يسع أحد التنصل منها أو الخروج عليها, ويستدلون بما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (.....وستكون خُلفاءُ فتكثر, قالوا: فما تأمُرُنا , قال: فُوا ببيعة الأول فالأول وأعطُوهُم حَقَهُم فَإِنَّ الله سائلُهُم عمَّا استرَعَاهُم) (مسلم النيسابوري, د-ت-ط. 1471/2), وعلى ذلك فهم يرون قتل الفصائل والجنود الرافضين لتلك البيعة أو الخارجين عليها باتهامهم بالكفر والردة.(عطوان, 2015, 80).

فشهدت الدولة الإسلامية-داعش- مع الجيش الحر, وحركة أحرار الشام, وحركة نورالدين الزنكي, وجيش الإسلام, وآخرين, إضافات قتالية, استهدفت قيادات وكوادر تلك القوى عن طريق الاغتيالات, والخطف, والكمائن, والعمليات الانتحارية, والاستيلاء على مراكزها وقتل عناصرها, وغير ذلك, لتحطيم بنيانها العسكري, ودفعها إلى إعلان التوبة والالتحاق بصفوفها.(خواجه, 2016م,

62). فقد كانت أكثر تشدداً من الزرقاوي نفسه في طائفيتها غير المتسامحة مع المذاهب الأخرى, وتطبيقها المتشدد للشريعة وأحكامها, والغلو في العنف والتنفيذ الحرفي للحدود في حق الزناة واللصوص وغيرهم.(عطوان, 2015, 81).

أما جبهة النصرة فقد ظلت تعتبر نفسها بأنها فصيل مقاتل إلى جانب الفصائل الأخرى على الأرض السورية هدفها تحرير سوريا من نظام الأسد, ثم تسعى إلى مسك الأرض بالحكم الإسلامي, كما أنها كانت أكثر مرونة- حسب هذا الرأي- من شقيقتها داعش في نسج التحالف مع بقية الفصائل المسلحة, وفي تجاوبها مع الدول الراعية للحرب السورية, رغم قضائها على جبهة ثوار سوريا, وحركة حزم, فقد كانت موضع رهان خصوم دمشق الإقليميين, للعب دور التنظيم الإسلامي المعتدل, رغم إصرار قيادتها على الولاء لفكر القاعدة.(عطوان, 2015م, 80, وخواجه, 2016م, 36).

كلا التنظيمين (داعش وجبهة النصرة) ملتزمان بمنظومة الفكر الجهادي الذي يقوم على الأصول الراسخة بضرورة تحكيم (شرع الله) وإقامة الحكم الإسلامي المتمثل في الخلافة, والذي لا يتحقق إلا بالجهاد. لكن الخلاف يتجلى في طريق نهج (داعش) و(النصرة) للوصول إلى هذا الأصل, فـ (داعش) تحسم الجهاد بشكل تصادمي مع الجميع وتبدأ بالعدو القريب وهي الأنظمة والجيوش التي تدافع عن العدو البعيد وهو إسرائيل والولايات المتحدة والغرب التي تعتبرها كلها كافرة.

أما جبهة النصرة فهي تتبع نهج تنظيم القاعدة حيث تبدأ بالعدو البعيد, وتؤكد على التراتيبية في الجهاد حتى يأتي التمكين. (عامر, 2016/4/27م). كما كانت استراتيجيتها أقل تشدداً وأكثر مرونة من نظيرتها, وتقوم وفق نظرية تقول أن الشريعة الإسلامية من الممكن تطبيقها بشكل تدريجي وبمرور الزمن, كما أنها لم تخض في الممارسات العنيفة المذهلة التي أصبحت العلامة الفارقة لتصرفات تنظيم الدولة الإسلامية . (عطوان, 2015م, 80, و داير,2015م, 150).

إن الواقع الميداني في سوريا يشير إلى أن التنظيمات العسكرية الجهادية اكتسبت وزنًا وثقلا ميدانيًّا كبيرًا في إطار المعارضة العسكرية السورية؛ حيث إن قدرة جبهة النصرة وتنظيم دولة الإسلام في العراق والشام في الحصول على المقاتلين الأجانب، ووجود شبكات دعم لهما في أوروبا وغيرها من المناطق، فضلا عن خبرتها في تصنيع القنابل؛ يدل على أنها تمتلك القدرة على تخطيط وتنفيذ عمليات لها فاعليتها ضد النظام، ويتيح لها حضورًا ميدانيًّا قويًّا مقارنة بغيرها من التنظيمات. (الزيات2/20/ 2014).

الذي يبدو أن كلا التنظيميين يحملان فكراً متشدداً تكفيرياً, ويعملان بنهج السلفية الجهادية, كما أن مادة الشر موجودة عند (جبهة النصرة) بقدر وجودها عند (داعش), إلا أن ظهور جرائم داعش بشكل أكبر من النصرة ربما يعود لعدة أسباب منها أن عدد مقاتلي داعش أكثر من النصر ة, كما أن المساحة التي كانت تسيطر عليها داعش أكثر بكثير من المساحة التي تسيطر عليها النصرة, فمناطق نفوذ النصرة في سوريا فقط, أما داعش فإن نفوذها كانت في سوريا وفي العراق وغيرهما, فجرائم داعش بالتأكيد تكون أكثر بروزاً من جرائم شقيقتها, ومن جانب آخر فإن لوسائل الإعلام دوراً بارزاً في إخفاء جرائم النصرة بحسب ما يبدو والتركيز على جرائم داعش, فلم يسلط الإعلام الضوء بشكل مكثف على تجاوزات الجبهة, هذا مما جعل الناس يرون بأنها أقل شراً, وأكثر مرونة من شقيقتها, ولكن لو اطَّلعنا على وسائل التواصل الاجتماعي ومنها اليوتيوب لتبين لنا بأن ما تقوم بها النصرة هي عين ما تعملها نظيرتها ((داعش)). وهذا ليس بشيء غريب عن النصرة, فكما أن داعش انبثقت من القاعدة وفعلت فعلتها الشنيعة, فإن النصرة انبثقت من داعش وتتبنى نفس الفكر والمنهج والاستراتيجية.

في28 تموز عام 2016م أعلن زعيم "جبهة النصرة" أبو محمد الجولاني في بيان مصور له فك ارتباط "النصرة" في سوريا عن تنظيم "القاعدة" وتشكيل جماعة جديدة باسم "جبهة فتح الشام" قال في البيان:" فقد قرّرنا إلغاء العمل باسم جبهة النصرة وإعادة تشكيل جماعة جديدة ضمن جبهةِ عملٍ تحمل اسم "جبهة فتح الشام" معلناً أن فك الارتباط جاء "نزولاً عند رغبة أهل الشام في دفع الذرائع التي يتذرع بها المجتمع الدولي وعلى رأسه أمريكا وروسيا في قصفهم وتشريدهم لعامة المسلمين في الشام بحجة استهداف جبهة النصرة التابعة لتنظيم قاعدة الجهاد" (الجولاني, 2016/6/29م).

3-2 الجبهة الإسلامية:

تكونت هذه الجبهة في تشرين الثاني عام 2013م, وتتألف من سبع فصائل إسلامية اندمجت فيما بينها سياسياً وعسكرياً, فكونت جيشاً لا يُستهان به من 45 ألف عنصر. هدفها –على حد قولها- تقديم صورة لوجود جماعات إسلامية "معتدلة" تعمل على إسقاط نظام الأسد, وإقامة "دولة إسلامية" محل نظامه. ففي كانون الأول عام 2013م, انسحبت الجبهة الإسلامية من تحت مظلة الملجس العسكري الأعلى للجيش الحر وبدأت تتقاتل مع ألوية تابعة للمجلس العسكري للسيطرة على بضعة مخازن وعلى معبر باب الهوى مع تركيا. (عطوان, 2015م, 135).

تضمنت الهيكلة الأخيرة للجبهة الإسلامية تعيين أحمد عيسى الشيخ رئيساً, وأبي حريتان من لواء التوحيد نائباً له, وأبي راتب الحمصي من لواء الحق في الأمانة العامة, مع تعيين أبي العباس من أحرار الشام المسؤول الشرعي, بينما ترأس الشيخ زهران علوش من الجيش الإسلامي القيادة العسكرية, وحسان عبود (قتل إلى جانب عدد كبير من قيادات جبهة النصرة في الثامن من أيلول 2014م, دون أن تعلن أي جهة مسؤوليتها عن اغتياله) من أحرار الشام الهيئة السياسية. (علوش, 2015م, 136)

تتمثل الفصائل السبعة فيما يأتي:(علوش, 2015م, 136-137, وعطوان, 2015م, 135-137):

1- صقور الشام: تأسست على يد أحمد عيسى الشيخ في منطقة جبل الزاوية في محافظة إدلب في أيلول 2011م، الذي يدعو إلى إقامة دولة إسلامية في سوريا لكنه لا يؤمن بأنها يجب أن تُفرض كما تفعل داعش حالياً. وتضم هذه المجموعة قرابة 10 آلاف مقاتل, تركزت عملياتها في جبل الزاوية في ريف إدلب، وقد أصبحت أكثر تطرفًا في عام 2013م، من حيث أنشطتها العمليـاتية، وعلى مستوى الخطـاب السيـاسي والإعـلامي. وتم اختيـار أحمد أبو عيسى رئيساً للجبهة الإسلامية الجديدة. ويدّعي لواء صقور الشام أنه يتكون من حوالي 17 جماعة، معظمهم في إدلـب وحلب، وكذلك في ريف دمشق.

2- لواء التوحيد: تكون في تموز عام 2012م, من خلال اندماج عدة كتائب مناطقية وجماعات مسلحة تتمركز حول حلب، بهدف توحيد العمليات العسكرية في المنطقة ضد النظام، وهو أكبر التنظيمات التي ينتمي قادتها لتنظيم الإخوان المسلمين في سوريا. وقد أسس لواء التوحيد عبد القادر صالح, وضمَّ حوالي 11 ألف مقاتل، ويعدّ لواء التوحيد هو الفاعل المهيمن على محافظة حلب.

3- جيش الإسلام: تأسس خلال تحالف واندماج أكثر من 50 فصيلاً إسلامياً في منطقة دمشق في أيلول 2013م, ويبلغ تعداد مقاتليه أكثر من تسعة آلاف. أقوى الفصائل فيه هو لواء الإسلام- النواة الأساسية لجيش الإسلام- بقيادة زهران علوش وهو سلفي بارز من ريف دمشق, وكان مسجونا في سوريا حتى منتصف عام 2011م, ومن عملياته تفجير المقر الأمني في دمشق في 18/ 7/ 2012م, الذي قتل خلاله عدد من كبار المسؤولين, بمن فيهم وزير الدفاع ونائبه. وقد لعبت بعض الدول الإقليمية دورًا في تشكيل جيش الإسلام بالضواحي الشرقية لدمشق تحت قيادة زهران علوش، وذلك في أواخر أيلول 2013م، وذلك لتقوية شوكة السلفيين الجهاديين الموالين في مواجهة جماعة الدولة الإسلامية في العراق والشام وجبهة النصرة.

4- حركة أحرار الشام الإسلامية: هي إحدى الفصائل العسكرية الإسلامية تأسست عام 2011م, بمحافظة إدلب إبان الثورة السورية والتي رفعت راية القتال وقاتلت جنباً إلى جنب مع الجيش الحر, ضد الجيش السوري النظامي، وقدِّر عدد مقاتليها بحوالي 20 ألف مقاتل, قادها حسان عبود, واكتسبت شهرة سريعة, وصارت تُعرف بأنها واحدة من أقوى جماعات المعارضة عسكرياً, أعلنت اندماجها مع تشكيلات إسلامية ضمن الجبهة الإسلامية السوريـة، تحـت اسم حركة أحرار الشام ضمن الجبهة ذاتها.

5- أنصار الشام: وهي جزء من الجبهة الإسلامية السورية، ولكنها تعمل بصورة أساسية في اللاذقية، ومن الملاحظ أنه ليس لهذه الجماعة أي بيانات عامة حول أيديولوجيتها، وهو ما يمكن إرجاعه لعدم وجود هيكل قيادي قوي لهذه المجموعة، ولكن يمكن القول إن أيديولوجيتها يمكن التعرف عليها من خلال الجبهة الإسلامية السورية، إذ تهدف إلى إسقاط النظام، وإقامة الشريعة الإسلامية، وتُخصص هذه الجماعة جزءًا من وقتها لتقديم الخدمات للمواطنين.

6- لواء الحق: تأسس في آب عام 2012م، وذلك كتجمع لكتائب معارضة في حمص، وهو جزء من الجبهة الإسلامية السورية، وهو يدعي أنه ليس جماعة سلفية، ولكنه يظل الأصغر حجمًا في هذا التحالف.

7- الجبهة الإسلامية الكردية: وهي أصغر قوة مسلحة في هذا التحالف، إذ يقدر عدد أعضائها بأقل من ألف مقاتل. وقد حاربت مع التنظيمات المرتبطة بالقاعدة ضد قوات حماية الشعب الكوردية، التابعة للاتحاد الديمقراطي الكردستاني.

تمتلك الجبهة الإسلامية كتائب تنتشر في مناطق عدة في دمشق, وحمص, وإدلب, وحماة, واللاذقية وحلب, ودير الزور. كما وشهدت هذه المناطق اشتباكات دارت بين فصائل الجبهة الإسلامية وبين داعش, مع أن كلا الطرفين ينتميان إلى المدرسة السلفية الجهادية إلا أن بينهما فروقات دقيقة من الناحية العقدية والسلوكية والتنظيمية ومن أهم تلك الفروقات (كايد, 25/كانون الثاني/ 2014م) :

- إن الجبهة الإسلامية بمعظمها لا تقبل باستباحة قتل المخالفين لها في المذهب والدين كالشيعة والمسيحيين، ما لم يقاتلوهم. كما لا تبيح قتل الحاضنة الشعبية للمناوئين لها، حتى لو كان ذوهم قتلوا مدنيين من المعارضة. أما داعش فتقتل النساء والأطفال والشيوخ، عملاً بقوله تعالى: [الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ] [البقرة:194] كما وتستبيح قتل كل من خالفها في المعتقد والدين، حتى ولو كان من أهل السنّة.

- الجبهة الإسلامية تسعى إلى إسقاط النظام, وبعدها تسعى لإقامة حكم الله على الأرض, ولا تتدخل عادة بشؤون الناس. أما داعش فتسعى في أي رقعة تسيطر عليها أن تقيم خلافة إسلامية فيها, وتطبيق شرع الله كما تزعمها, فتهدم القبور، وتمنع التدخين، وتفرض النقاب، وتمنع قص شعر اللحية، وتنشئ المحاكم الشرعية, وغير ذلك.

- الجبهة الإسلامية كانت تخوض معارك ضد النظام بالتنسيق مع كتائب أخرى. ولعل هذا التنسيق المتكرر في جبهات عدة ساهم في التقريب بين عناصرها وعناصر الجيش الحر. أما داعش فكانت ترفض أن تخوض أي معركة مشتركة ضد النظام إلا مع جبهة النصرة لانتماء الطرفين إلى الفكر والنهج نفسه.

- معظم عناصر الجبهة الإسلامية سوريون. وقادتها معروفون كزهران علوش، وأحمد عيسى الشيخ المعروف في جبل الزاوية. فهي تنظيم سوري بامتياز محلي المنشأ، ولهذا يتوافر لعناصرها حاضنة شعبية كبيرة. أما داعش فهي تنظيم دخيل ووافد. ومعظم عناصرها ليسوا سوريين. تتبع التنظيم العالمي للقاعدة، فهو تنظيم يتخطى الجغرافيا السورية ولا يتقيد بالحدود. رُحب بهم بادئ الأمر في سوريا حين ظن المواطنون أن هؤلاء جاؤوا لنصرتهم، لكن سرعان ما انفض الناس عنهم وانقلبوا عليهم بعد ما رأوه من شناعة أعمالهم.

- كما أن هناك اختلافاً في طريقة الانضمام إلى الجبهة الإسلامية من جهة وإلى داعش من جهة أخرى, فالأخيرة كانت تشترط بكل من يريد أن ينضم إليها أن يحظى بتزكية عدد من مشايخهم. وأن يخضع لدورة تثقيفية، مدتها من ثلاثة إلى ستة أشهر، في قضايا الدين وفكر التنظيم, ثم يخضع لدورة عسكرية ويبايع قائد التنظيم على السمع والطاعة, أما الجبهة الإسلامية فالانضمام إلى فصائلها كأحرار الشام أو لواء التوحيد أو جيش الإسلام أو صقور الشام لا يحتاج إلى هذه التعقيدات. فالانضمام كان يخضع في البدء لمعيار الالتزام ومعرفة هوية هذا الشخص.

4-2 بوكوحرام النيجيرية(Boko Haram):

الاسم الحقيقي لهذه الحركة هو "جماعة أهل السنّة للدعوة والجهاد"، وهو الاسم الذي يردّدونه ولا يرضون لهم اسماً سواه، وأطلق عليهم الناس، وبخاصة الإعلاميون، اسم «جماعة بوكو حرام»، وهذه التسمية قد شجبها أعضاء الحركة، ويفضّلون التسمية التي اختاروها لأنفسهم. وأما مفهوم "بوكو حرام" المشاعة فهي تسمية مشتقة من الفكرة التي يكثرون ذكرها مراراً لنصيحة المسلمين، وبخاصة الآباء، وطلبة المعاهد والجامعات، وسائر المعتنين بالتربية، فـ(بوكو حرام) هي كلمة مركبة تركيباً مزجياً من لغتي الهوسا واللغة العربية، وقد كان الهوساويون يستعملون كلمة "بوكو" ويعنون بها "نظام التعليم الغربي"، وأضيفت إليها كلمة "حرام" فأصبح المعنى: نظام التعليم الغربي حرام، فلُقّبوا بها من باب التلقيب بما أكثر المرء من ذكره. (خليل, 2011/9/19م, مرتضى, 2014/4/8م).

فـ بوكو حرام هي جماعة إسلامية مسلحه نيجيرية تأسست عام 2002م, على يد محمد يوسف، وهو شاب نيجيري ترك التعليم في سن مبكرة، وحصل على قدر من التعليم الديني غير النظامي،- تشكلت الجماعة أساسا من طلبة تخلوا عن الدراسة النظامية- وقد أقامت الجماعة قاعدة لها في قرية كاناما بولاية يوبه شمال شرقي نيجريا على الحدود مع النيجر، وفي عام 2009م, وقعت مواجهات بين الجماعة والشرطة والجيش شملت ولايات شمالية عدة راح ضحيتها عدد كبير من الضحايا المدنيين، وانتهت بإعلان الحكومة النيجيرية أنها قتلت جميع أفراد جماعة بوكو حرام، بما فيهم زعيم الجماعة محمد يوسف.(خليل, 2011/9/19م).

دخلت((بوكو حرام)) مرحلة جديدة بعد مقتل مؤسسها, إذ بايعت قيادتها الجديدة أبابكر شيكاو, تنظيم((القاعدة)) في البداية, في آب عام 2009م, كانت تهدف من إعلان التحاقها بالقاعدة محاولة كسب التعاطف والتأييد من المسلمين العاديين بصفة عامة والجهاديين بصفة خاصة، نظراً للمكانة الخاصة التي يتمتع بها تنظيم القاعدة في أوساط المسلمين المتعاطفين معه والذي يطرح نفسه كمدافع عن الإسلام والمسلمين ضد اليهود والصليبيين المعتدين، وبالتالي تتمكن جماعة بوكو حرام من الحصول على الدعم المادي والمعنوي من المسلمين المتعاطفين معها والموجودين في هذه المناطق(أحمد,11/تشرين الأول/2014 م), وقد بدت هذه المرحلة معه أكثر وحشية وأكثر حدة وتوسعاً في التكفير والقتل والعمليات الانتحارية, سجلت في البداية موجة من أعمال العنف أسفرت عن سقوط نحو 20 ألف قتيل، إضافة إلى نزوح 2.6 مليون شخص في منطقة بحيرة تشاد, مع أنه لم يظهر إلاّ في حزيران عام 2010م, رداً على إشاعة مقتله من قبل السلطات النيجيرية. (نسيره, 8/شباط/2016م, العدد 13586).

تتضمن الأصول الفكرية للجماعة عدداً من المفاهيم التي يمكن فهمها من تفسير اسمها (بوكو حرام) أي: (التعليم الغربي أو الوافد الغربي حرام)، فإن رؤية الجماعة تقوم علي ضرورة إبعاد كل مكونات الدولة الحديثة والعودة إلى تأسيس الدولة الإسلامية في هيئتها التي كانت عليها في الماضي, كما ويكفرون جميع العاملين في الأجهزة الأمنية والبرلمانيــين ورؤساء الحكومة، ويدعون

إلى التطبيق الفوري للشريعة الإسلامية في جميع ولايات نيجيريا، والتي يشكل المسلمون نحو 68% من سكانها، والبالغ عددهم حوالي 140 مليونا، والتي تطبق الشريعة الإسلامية في 12 ولاية من ولاياتها الشمالية, ويدعون إلى تغيير نظام التعليم. وتكفير و رفض التعامل مع من لم ينضم إلى الجماعة بما في ذلك أعضاء الجماعات الإسلامية الأخرى، على اعتبار أنهم يقبلون العيش في مجتمع كافر يجب الانعزال عنه، وهو ما جعلهم يرفضون الصلاة خلف من لا ينتمون إلى جماعتهم حركياً وتنظيمياً. (خليل, 2011/9/19م).

كان عام 2011م, مليئاً بالأحداث المختلفة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، إذ خرج معظم النيجيريين للانتخابات، فأصبح غودلاك جوناثان رئيساً للجمهورية، وقد أحدث هذا خنقاً مؤلماً للكثير من الشعب المسلم، خصوصاً في الشمال. وتزامنت هذه الزوبعة مع التطهير العرقي الحادث في ولاية جوس، إذ قامت مجزرة كبيرة، لقي فيها المسلمون ألواناً من انتهاك الأعراض والغصب والقتل الوحشي، وهذا مما زاد الطين بلة، وأثار حفيظة المسلمين بمن فيهم جماعة بوكو حرام -أهل السنّة للدعوة والجهاد-، فتوسعوا في الإغارات والتفجيرات ضد المسيحيين. وقد شهدت المناطق الشمالية الشرقية من نيجيريا, سلسلة من التفجيرات والهجمات شنتها عليها جماعة بوكوحرام, أهمها تفجير مركز للشرطة بأبوجا, والذي عدَّ الأول من نوعه، إذ فجر قائد السيارة نفسه، فلقي كثيرون مصرعهم، ونجا رئيس الشرطة من الإصابة، وتفجير مكتب للجنة الانتخابية الوطنية المستقلة في مايدوكوري في نيسان عام 2011م، وتفجير مقر الأمم المتحدة في ابوجا في آب عام 2011م.(مرتضى, 2014/4/8م).

فقد كانت سياسات الحكومة العسكرية والمدنية المتعاقبة في نيجيريا, التي تستخدم العنف تجاه الحركات السياسية المناوئة لها, وبالأخص جماعة بوكوحرام تعتبر سبباً رئيسيا في انضمام العديد من الأنصار في أوساط الشباب إلى الجماعة وازياد نشاطها وعملياتها. كما لعب البعد العرقي دورا كبيراً في تنامي الجماعة, حيث تتشكل نيجيريا من قبائل عدة , إلا أن أكبر القبيلتين التي تتشكل منها هما "الهاوسا" في شمال البلاد وأغلبهم مسلمون, وقبيلة " الإيبو" وغالبية أفرادها مسيحيون, فكثرة الاشتباكات الدينية والعرقية بين القبيلتين جعلت جماعة بوكوحرام تقدم نفسها كمدافع عن الإسلام والمسلمين ضد المسيحيين, مما أعطاها نوعا من التعاطف من بسطاء المسلمين تجاه الجماعة. بالإضافة إلى الوضع الاقتصادي السيء وانتشار البطالة والفساد. (إبراهيم, 2015/8/20م).

لقد أثارت العمليات القوية والمؤثرة التي تقوم بها جماعة (بوكوحرام) في نيجيريا, قلق ومخاوف الكثيرين وعلي رأسهم الحكومة النيجيرية ودول الجوار إضافةً إلي الدول صاحبةِ المصالحِ الاقتصادية والنفطية في نيجيريا وذلك خوفاً من حدوث تحالف مستقبلي بين حركة الإصلاح بدلتا النيجر وجماعة بوكوحرام في الشمال النيجيري؛ مما قد يؤدي إلي عدم استقرار الأوضاع الأمنية في مناطق إنتاج النفط حيث أن نيجيريا تمتلك أكثر من 2,6% من احتياطات النفط العالمية، وهو ما دفع المراقبين للتعبير عن خوفهم من أن تتحول المنطقة إلي معقل للجماعات المسلحة مشيرين إلي أن الفساد المستشري والفقر المدقع في غرب أفريقيا يوفران تربة خصبة لنمو الإرهاب. (أحمد , 11/تشرين الأول/2014م).

بعد أفول القاعدة وصحوة داعش جاء تحول شيكاو للبيعة لـ (داعش) في آذار 2015م, خطوة مشجعة ومهمة بالنسبة للبغدادي الذي قبلها مرحباً, أملا في مزيد من التوسع في أفريقيا وسحب البساط من تحت أقدام (القاعدة), إلا أنه بالمقابل تأمل ((بوكوحرام)) من هذه البيعة الحصول على مزيد من الدعم المالي واللوجستي والإعلامي.(نسيره, 8/شباط/2016م).

شهدت جماعة بوكو حرام بعد بيعتها لداعش انقسامات داخلية كبيرة, فقد انشقت مجموعة كبيرة على زعيمها أبي بكر بسبب عدم التزامه بتوجيهات وقرارات تنظيم داعش الذي كان يتخذ من العراق وسوريا قاعدة له. حيث أعلن التنظيم تعيين أبو مصعب البرناوي أميراً جديداً لولاية غرب أفريقيا والمعروفة باسم "بوكو حرام.(رويح, 2016/8/14م).

يرى بعض الخبراء ان هذه الخلافات وفي ظل استمرار العمليات العسكرية، التي يقوم بها التحالف الإفريقي المكون من الدول الثلاث نيجيريا وتشاد والنيجر، بالإضافة إلى الكاميرون، ربما سيكون سببا في اضعاف جماعة بوكو حرام التي اصبحت اقرب الى الزوال، حيث تشير بعض التقارير والمصادر الإفريقية إلى أن التحالف يقوم بعملية عسكرية مشتركة ضد الجماعة الإرهابية في منطقة ديفا الحدودية بين النيجر ونيجريا، تمهيدًا لاستهداف غابة سامبيسا، التي تعتبر أكبر قاعدة لوجستية لبوكو حرام على الأراضي النيجيرية. (رويح, 2016/8/14م).

كما أبدت الحكومة النيجيرية رغبتها في إيجاد حل سياسي للتمرد من خلال التفاوض مع جميع المعنيين من أجل تحديد المظالم التي تطرحها الجماعة وتقديم التوصيات اللازمة بخصوص تحسين الظروف الأمنية في مناطق الشمال والشمال الشرقي النيجيري، ومعالجة قضايا الفقر والبطالة والظلم الاجتماعي والفساد المالي والأخلاقي من طرف الحكومة النيجيرية, لأن هذه

المشاكل تساهم في تغذية المظالم التي تشكل حافزاً قوياً للميل إلى التشدد من قبل الشباب المسلم في الشمال النيجيري. (إبراهيم, 1/31/ 2016م).

5-2 أنصار الشريعة(الليبية):

هي ميليشيات إسلامية متشددة تأسست في نيسان عام 2012م, بعد أشهر من نهاية الثورة الليبية, شارك أفراد منها في الثورة الليبية, وهي تضم ليبيين وعناصر من بلدان أخرى وبالأخص من تونس. تدعو إلى تحكيم الشريعة الإسلامية في ليبيا، وإقامة الدين بالبيان والبنان، بالكلمة والسلاح، بحسب ما تقتضيها المرحلة وطبيعة الصراع. وتعتقد أنصار الشريعة أن الديمقراطية دينٌ كفريٌّ غربيٌ مبتدعٌ، وأنها كفر أكبر، لما تمثلها من شرك صريح في الربوبية، ويستشهدون بقوله تعالى: [اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ][التوبة: 30], وقوله تعالى: [أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] [الشورى:21]، لذا فهم يَكْفُرُون بالديمقراطية، ويُكَفِّرُون من يؤمن بها. ويعتقدون كفر الدولة الليبية أيضاً بسبب حكمها بغير ما أنزل، وبسبب التعامل والاحتكام لقوانين وتشريعات النظام السابق، ومادامت الدولة الليبية تجيز التعامل أو تلزم الشعب الليبي بتلك القوانين فتكفر. وتعتقد الجماعة جواز هـدم الأضرحة، وذلك لاعتقادهم بعـدم جواز إبقاء مواضع الشرك والطواغـيت بعد الـقـدرة على هـدمها وإبطالها، لأنها شعائر الكفر والشرك، وهي من أعظم المنكرات التي تستوجب الإنكار. وينشط عناصر الجماعة في شرق ليبيا وعلى الحدود الليبية- المصرية وفي تونس والمغرب.(الحيدري,2015م, 170, عقوب, 2 /9/2014م).

يعتقد المحللون أن "أنصار الشريعة في ليبيا" و"أنصار الشريعة في تونس " يشكلان تنظيماً واحداً من حيث "الأفكار الجهادية والتنسيق العملياتي والدعم المالي واللوجيستي" وأعلنا ولاءهما لـ "داعش". إلا أنهما أقل شدة في التكفير من داعش, مع مشاركتهما لها في تكفير كل حكام الدولة العربية وجيوشهم وشرطتهم فضلاً عن كل الشيعة والصوفية. (النجار, 2015م, 18).

6-2 أنصار بيت المقدس أو(ولاية سيناء):

هي من الجماعات المسلّحة التي تركز نشاطها في سيناء مع تنامي صلتها بـ"داعش", عملت الجماعة على تجنيد بدو سيناء, بالإضافة إلى المصريين وشباب من جنسيات أخرى, وضمت عناصر من جماعة " التوحيد والجهاد و" مجلس شورى المجاهدين" الذي كان له فرع آخر في العراق. وقد كانت متواجدة إلى جانب الجماعات الإسلامية في شبه جزيرة سيناء. إلا أنها عُرفت على نطاق واسع في مصر في أعقاب 30 حزيران عام 2013م, من خلال مجموعة عمليات تفجير قامت بها ضد أهداف ومنشآت أمنية. وغيّرت اسمها رسمياً إلى "ولاية سيناء" بعد إعلانها مبايعة تنظيم الدولة الإسلامية, وقد أعلنت أنها تحارب إسرائيل, لكن بعد سقوط نظام الإخوان المسلمين في مصر أعلنت أنها تحارب الجيش والأمن المصري(الحيدري, 2015م, 107, الهاشمي, 2015م, 427/3).

استمدت الجماعة زخماً كبيراً إثر عدد من العمليات النوعية التي ارتكبتها, ومن أشهر تلك العمليات التي ارتكبتها بعد ثورة 25/ 1/ 2011م, تفجير العديد من الخطوط التي تحمل الغاز بين مصر وإسرائيل, ومحاولة اغتيال وزير الداخلية في أيلول عام 2013م, والهجوم على مبنى المخابرات العسكرية بالإسماعلية في تشرين الأول عام 2013م, وكذلك تبنت تفجير مديرية أمن الدقهلية في 24 كانون الأول عام 2013م, وتفجير مديرية أمن القاهرة في كانون الثاني عام 2014م, وأيضاً إسقاط مروحية عسكرية بسيناء, وغير ذلك(الهاشمي, 2015م, 427/3).

التنظيمات الجهادية في سيناء تشهد تفريخا وتوسعاً في المنطقة, حيث تعتبر سيناء واحدة من تلك المناطق التي تراهن عليها القاعدة والظواهري أكثر من بقية الساحات الجهادية. ويبدو أن التنظيمات والجماعات التي تقاتل في سيناء تحت مظلة القاعدة أو التوحيد والجهاد أكثر وضوحاً في خارطتها التنظيمية عما يجري في سوريا والعراق ودول أخرى, فجماعة التوحيد والجهاد أقرب ما يكون إلى خط الظواهري في التشدد والتطرف, وقد تمثل الخط المتوازي مع تنظيم اليمن وشبه الجزيرة العربية, الذي يعد من أهم وأخطر التنظيمات, بسبب تعايشه وتزامنه والتزامه بخط الجيل الأول من القاعدة وبن لادن, لكن مع هذا فإن سيناء تبقى تحمل دلالات ومعاني تنظيمية ومعنوية في أسفار وأدبيات القاعدة والجهاديين, وموقعها الجغرافي القريب من القدس. (محمد, 2015م, 327-328).

3. الوقوف على أهم بواعث التطرف وأسبابه

سبق الحديث عن أهم التنظيمات الجهاديه المعاصرة, وتبين من خلال العرض السابق تنوع الأسباب المؤدية لنشوء هذه التنظيمات ومن ثم تمددها وتوسعها, فحيثما وجدت هذه الأسباب والبواعث وجدت التربة الخصبة لنمو هذه الأفكار والتنظيمات المتطرفة, قد تجتمع أغلب هذه الأسباب في إحدى هذه التنظيمات, وقد يكون سبب واحد مشترك بين كل تلك التنظيمات كالأسباب الفكرية مثلا, لذا فمعرفة الأسباب ضرورية وفي غاية الأهمية, لأنها تعين على معرفة طرق العلاج والقضاء على هذه الظاهرة, ومن أهم تلك الأسباب هي:

3-1 **الأسباب الفكرية:**

تعد حرية الفكر من أهم الحريات الأساسية التي يجب أن يتمتع بها الإنسان, فالفكر هو أثمن المواهب الإنسانية, ووسيلة المرء لاكتساب العلم والمعرفة, وهو الأداة التي تعبر عن حرية إرادة الإنسان, وتمكنه من التمييز بين الصحيح والسقيم, لذا يعتبر انطلاق الفكر في أي عصر دليل على مدنية وحضارة هذا العصر, وهو المعيار الأساس لرقي أفراده وسموهم. وجاءت الشريعة معلنة حرية الفكر, واعتبرت أن أعظم الفضائل التي يجب أن يتحلى بها الفرد هي تحرره من الأوهام والخرافات والعادات الجاهلية. فهو يعيب على الإنسان تعطيل فكره وتقليد غيره وإلغاء عقله. فعالج بالعقيدة أفكارها, إذ جعل له بها قاعدة فكرية يبني عليها أفكاره ويكوِّن على أساسها مفاهيمه, فيميز الفكر الصائب من الفكر الخاطئ حين يقيس هذا الفكـر بالعقيـدة الإسلاميـة السليمة, فتتكون عقليتـه على هذه العقيدة، وتكون له بذلك عقليـة متميـزة، ومقياس صحيح للأفكار، فيأمن بذلك زلل الفكر, ويصبح صادق الفكر سليم الإدراك (نبهان, 2003م, 15/1, طعيمة, 2005م,577-578).

إلا أن ما قدمه الفكر الإسلامي الراديكالي غلب فيه السياسي والأيديولوجي على الفكري والثقافي لصبّ ذهن المسلم الساذج في قالب يتلاءم والتحديات الراهنة, والتي قامت على فكرة أن الواقع الاجتماعي فاسد وأن أنظمة الحكم مستبدة وأن على المسلمين المؤمنين مواجهة هذا الفساد والاستبداد بنفس الأدوات التي يستخدمها الحكام الظالمون, فاتخذت العنف والتسلح منهجاً لها رافقه التطرف الديني, والهدف من ذلك هو تسييس الدين والدخول في صدامات عنيفة ضد المجتمع والحكومات القائمة واستخدام الوسائل ضدها.(الحيدري, 2015م, 266).

يقول طه جابر العلواني: "ما اتفقت كلمة مثقفي الأمة في عصرنا على شيء مثل اتفاقها على أن الأمّة الإسلامية في سائر شعوبها،...تعيش أزمة فكرية، تتجلى في شكل غياب ثقافي، وتخلف علمي، وكسوف حضاري، وتتجسد في عجز الخطاب الفكري المعاصر عن إيصال مضمون الخطاب الإسلامي السليم ومحتـواه، قرآناً وسنة وشريعة وأخلاقاً، وإن اختلفوا في تحديد الأسباب ووسائل العلاج" (العلواني, 12/13/ 2017م).

إن الخلل في البنية الفكرية للغلاة كان جذراً رئيسياً من جذور الغلو, فأصحاب الفكر المنغلق فقد عطلوا عمل العقل جرياً وراء الأوهام والخرافات والجهال فكان من نتيجته ميلاد التطرف الفكري والذي يعتبر اللبنة الأولى لجميع الأعمال الإرهابية, وخصوصاً التطرف المتصف بالدين, فإن هذا النوع من التطرف يدعي أصحابه امتلاك الحقيقة المطلقة في التفاصيل والجزئيات فضلاً عن الكليات والثوابت التي لا اختلاف فيها, وتبعاً لهذا الادعاء فإن أصحاب هذا النوع من الآراء يحاولون إقصاء الآخر, وهو كل من يخالفهم في الرأي ولو جزئياً, ومن مظاهر إقصائهم للآخر أقلها نسبة الضلال له وأكثرها نسبة الكفر والشرك له. فأصحاب هذا الفكر الإقصائي يحاول إلغاء الآخر تماماً ومحوه إما بضمه إلى خطه وزمرته إن استطاع, أو بتصفيته و إنهائه من الوجود, ويتوسل إلى هدفه بكل وسيلة حتى ولو كانت تلك هي الإرهاب والعنف, لكنه لا يسمى ذلك عنفاً أو إرهاباً بل يغلفه باسم الجهاد, ويعتقد أتباعه من الشباب والجهلة بأن ما يقومون به من اغتيالات وتخريب للممتلكات وإزهاق للأنفس عين الصواب بل هو الطريق إلى الجنة وهو الجهاد المأمور به. (أبو العصاري, 14 نيسان, 2013م, الجراد,2014م, 195).

فلو تتبعنا أفكار وآراء الجماعات المتطرفة القائمة في يومنا هذا نجد أن كلا من هذه الجماعات تصور نفسها أنها هي الحق وهي القائمة على الإسلام وكلّ من عداها مخالف لها, فتتسم الجماعات بالتعصب ورفض الآخر. فتقوم بأعمال العنف والارهاب باسم الإسلام. وهذا التصور الخاطئ ربما يرجع لسوء الفهم والتفسير الخاطئ للنصوص حيث يأخذون من النصوص ظاهرها, ومن جملة ما يستدلون به من الآيات على شرعية القتال وممارسة أعمال العنف, قوله تعالى :[وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ [الأنفال: ٦٠]. قال صاحب تفسير المنار(ت: 1354هـ): "أَمَرَ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَجْعَلُوا الِاسْتِعْدَادَ لِلْحَرْبِ (الَّتِي عَلِمُوا أَنْ لَا مَنْدُوحَةَ عَنْهَا لِدَفْعِ الْعُدْوَانِ وَالشَّرِّ، وَلِحِفْظِ الْأَنْفُسِ وَرِعَايَتِهِ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ وَالْفَضِيلَةَ) بِأَمْرَيْنِ:

(أَحَدِهِمَا) إِعْدَادُ جَمِيعِ أَسْبَابِ الْقُوَّةِ لَهَا بِقَدْرِ الِاسْتِطَاعَةِ. (وَثَانِيهِمَا) مُرَابَطَةُ فُرْسَانِهِمْ فِي ثُغُورِ بِلَادِهِمْ وَحُدُودِهَا، وَهِيَ مَدَاخِلُ الْأَعْدَاءِ وَمَوَاضِعُ مُهَاجَمَتِهِمْ لِلْبِلَادِ، وَالْمُرَادُ أَنْ يَكُونَ لِلْأُمَّةِ جُنْدٌ دَائِمٌ مُسْتَعِدٌّ لِلدِّفَاعِ عَنْهَا إِذَا فَاجَأَهَا الْعَدُوُّ عَلَى غِرَّةٍ، قَاوَمَهُ الْفُرْسَانُ، ... وَهَذَانِ الْأَمْرَانِ هُمَا اللَّذَانِ تُعَوِّلُ عَلَيْهِمَا جَمِيعُ الدُّوَلِ الْحَرْبِيَّةِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ الَّتِي ارْتَقَتْ فِيهِ الْفُنُونُ الْعَسْكَرِيَّةُ وَعَتَادُ الْحَرْبِ إِلَى دَرَجَةٍ لَمْ يَسْبِقْ لَهَا نَظِيرٌ، بَلْ لَمْ تَكُنْ تُدْرِكُهَا الْعُقُولُ وَلَا تَتَخَيَّلُهَا الْأَفْكَارُ".(القلموني, 1990م, 53/10).

فقد استدلت الجماعات المتطرفة بهذه الآية وأمثالها فيما يقومون به من أعمال العنف والتخويف تجاه الآخر. لكن بالرجوع إلى السياق الذي وردت فيه الآية يتبين المعنى الحقيقي للآية ولكلمة (ترهبون), وهل لها علاقة بالإرهاب المتعارف عليه في يومنا هذا أم لا؟ فقد وردت الآية بعد ذكر ما جرت بين المسلمين وأهل الكتاب من اليهود الذين عقد النبي صلى الله عليه وسلم معهم العهود التي أمَّنَهم بها على أنفسهم وأموالهم وحريّة دينهم, فقد خانُوهُ ونقضوا عهدهُ وساعدوا عليه أعداءه من المشركين الذين أخرجُوهُ هو ومن آمن به من ديارهم, ثمَّ تبعوهُم إلى مهجرهم يقاتلونهم فيه لأجل دينهم, وأنّهُ بذلك صار جميعُ أهل الحجاز الذين كفروا بما جاء به من الحق حرباً لهُ, المشركون وأهل الكتاب سواءٌ, فناسب بعد ذلك أن يُبيّن تعالى للمؤمنين ما يجب عليهم في حال الحرب التي كانت أمراً واقعاً لم يكونوا هُم المحدثين لهُ. فالآيات التي تسبق هذه الآية تبين هذه الحقائق بوضوح, قال تعالى: [الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ * فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ * وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ] [الأنفال: ٥٦ – ٥٩]. قال الرازي (ت:606هـ): " أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَوْجَبَ عَلَى رَسُولِهِ أَنْ يُشَرِّدَ مَنْ صَدَرَ مِنْهُ نَقْضُ الْعَهْدِ، وَأَنْ يَنْبِذَ الْعَهْدَ إِلَى مَنْ خَافَ مِنْهُ النَّقْضَ، أَمَرَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ...) [الأنفال: 60] بِالْإِعْدَادِ لِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ .... أَنَّهُمْ إِذَا شَاهَدُوا قُوَّةَ الْمُسْلِمِينَ وَكَثْرَةَ آلَاتِهِمْ وَأَدَوَاتِهِمُ انْقَطَعَ عَنْهُمْ طَمَعُهُمْ مِنْ أَنْ يَصِيرُوا مَغْلُوبِينَ (الرازي, 1420هـ, 499/15).

فحين تتأكد الأمة من نية العدو, وإرادة الغدر بها, يجب عليها أن تستعد بكل ما تملك من قوة وعدة, فهذا استعداد لرد الاعتداء, وتخويف لأعداء الأمة المحاربين لا المسالمين. قال تعالى: [وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] [الأنفال: 61]. فإن كف العدو عن العدوان وعدل عن الحرب, بأن جنح للسلم فإن المسلم مأمور ومطالب بإجابته, بأن يجنح للسلم ويدخل فيه, وعطف هذه الآية على آية الإعداد, يدل على أن المسلمين معدون كامل الإعداد لرد الاعتداء, وللانقضاض على الآخر وأنهم هم أصحاب القوة. وإن أبى إلا الحرب والعدوان, فجزاء سيئة سيئة مثلها, فتقاتل من يقاتلها. (السباعي, 1998م,9, اسبينداري, 2006م,33).

من الأحاديث التي يستندون إليها في قطع رؤوس من يقاتلونهم ويفهمونها فهماً خاطئاً الذي أخرجه أحمد(ت:241هـ), في مسنده عن يحيى عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ، فِيمَا كَانَتْ تُظْهِرُ مِنْ عَدَاوَتِهِ ؟ قَالَ: حَضَرْتُهُمْ وَقَدِ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يَوْمًا فِي الْحِجْرِ، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم ، فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ، سَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ آلِهَتَنَا، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، أَوْ كَمَا قَالُوا: قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم ، فَأَقْبَلَ يَمْشِي، حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا أَنْ مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ بِبَعْضِ مَا يَقُولُ، قَالَ: فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ مَضَى، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الثَّانِيَةَ، غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ مَضَى ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمُ الثَّالِثَةَ، فَغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَقَالَ: تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ، فَأَخَذَتِ الْقَوْمَ كَلِمَتُهُ، حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلاَّ كَأَنَّمَا عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَاقِعٌ، حَتَّى إِنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَصَاةً قَبْلَ ذَلِكَ لَيَرْفَؤُهُ بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ: انْصَرِفْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، انْصَرِفْ رَاشِدًا، فَوَاللَّهِ مَا كُنْتَ جَهُولاً، قَالَ: فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم، حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ، اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ وَأَنَا مَعَهُمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ذَكَرْتُمْ مَا بَلَغَ مِنْكُمْ وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ، حَتَّى إِذَا بَادَأَكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ، إِذْ طَلَعَ عليهم رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَوَثَبُوا إِلَيْهِ وَثْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَأَحَاطُوا بِهِ، يَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا؟ لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُمْ عَنْهُ مِنْ عَيْبِ آلِهَتِهِمْ وَدِينِهِمْ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: نَعَمْ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ، قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً مِنْهُمْ أَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ، قَالَ: وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، دُونَهُ، يَقُولُ وَهُوَ يَبْكِي:(أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ)؟ ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ لأَشَدُّ مَا رَأَيْتُ قُرَيْشًا بَلَغَتْ مِنْهُ قَطُّ.(ابن حنبل الشيباني, 1998م, 2/ 218)

استندت التنظيمات الجهادية المتطرفة على مشروعية القتل وذبح من يرونه عدواً لهم بهذا الحديث, سواء أكان قتل وذبح غير المسلمين, أو المسلمين المخالفين لهم في بعض القضايا الفقهية التي يرون أنهم على صواب فيها, وغيرهم على باطل. لكن بتتبع معان هذه الكلمة نجد أنها تحمل في طياتها عدة معان (عبدالحكيم,2015م , 202):

أ- أن الذبح جاء بمعنى قطع العروق من موضع الذبح من الحلق بالسكين.

ب- القتل والهلاك, ومنه قوله تعالى:[وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ] [البقرة: 49], أي : يقتلون أولادكم الذكور(الرازي,1420هـ 3/ 506), ومنه قول النبي-صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ جُعِلَ قَاضِيًا بَيْنَ النَّاسِ، فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ.))(ابن حنبل الشيباني, 1998م, 230/2). معناه التحذير من طلب القضاء والحرص عليه, أي إن من تصدى له فقد تعرض للذبح أي الهلاك فليحذره (ابن الأثير, 1979م, 2/ 153, الزبيدي, 1994م, 316/8)

ت- التذكية, ودلالته الأثر الوارد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ((إِنَّ اللَّهَ ذَبَحَ لَكُمْ مَا فِي الْبَحْرِ فَكُلُوهُ كُلَّهُ فَإِنَّهُ ذَكِيٌّ)) (البيهقي, 1344هـ, 252/9).

ث- الإحلال: أي جعل الشيء المحرم حلالاً, وهو من باب المجاز, وفي الأثر:: ((ذبحَ الخمر النينان والشَّمسُ)) (البخاري, 1987, 2092/5)، أي أنَّ وضع الملحِ في الخَمْرِ مع وضعها في الشَّمسِ يذبحُها؛ أي يحولها خلًّا فتصبح حلالا.

مما لاشك فيه أن ما فهمه هؤلاء النفر من قريش من كلمة (الذبح) إنما كان معناه الأول أو الثاني, بدليل رهبتهم وخوفهم. والراجح إنما قصد النَّبي صلى الله عليه وسلم من كلامه هذا تخويفهم لكفهم أذاهم, بدليل أنه لم يذبح أحداً في حياته بسبب اعتدائه عليه, أو إكراهاً له على الإيمان, وقد أبلغ الله رسوله صلى الله عليه وسلم في القرآن بأنه: [لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] [البقرة:256] وبقوله: [فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ] [النحل: 82]. كما أن الذبح بمعناه الأصلي المتبادر إلى الذهن يتعارض مع ما عرف عنه صلى الله عليه وسلم من رحمته بالناس:[فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ] [آل عمران: 159]. ويتعارض مع قوله تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ] [الأنبياء: ١٠٧], أمّا المعاني المجازية فبجملتها مقبولة. وذلك أنهم بعد أن غمزوه وعابوه وشتموه وهو يطوف بالبيت, فمن الممكن أن يخوفهم بالهلاك. ومن المقبول أيضًا أن يكون المراد منه أنهم إن أسروا على فعلهم أخبرهم بحقيقة رسالته، وأنها لا تستأهل ما قابلوه به فهو إنما جاءهم بالتذكية والتطهير مما هم فيه من الشرك، وبتحليل الطيبات وتحريم الخبائث.(عبدالحكيم,2015م , 202-203).

كما أن قوله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ليس على عمومه, بل كان لأولئك المجرمين من صناديد قريش, وأئمة الكفر, بدليل قوله صلى الله عليه وسلم في جميع الروايات الواردة في هذا الصدد((يا معشر قريش)). كأبي جهل وأُبيّ بن خلف وغيرهما من الذين آذوا نبيَّنا صلى الله عليه وسلم وصدّوا الناس عن دينه فإن مصيرهم إن أسروا على صنيعهم هو الهلاك والقتل(الحسيني, 2/ذو الحجة/ 1428هـ). والدليل على هذا أن أبا جهل عندما سمع قول النَّبي صلى الله عليه وسلم قال:"يا محمد، ما كنت جَهولاً". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((أنت منهم))(ابن حبان,1993م, 14/ 529), وقد مات كمايروى مقتولا في المعركة, وفي هذا دليل على أنهم صلى الله عليه وسلم أسروا على معاداتهم واعتدائهم للإسلام فصدق عليهم قول الرسول ﷺ. وأن الكلام كان خاصا بهم دون غيرهم. قال تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ] [الأنبياء: ١٠٧], فكيف يستقيم أن يكون رحمة للعالمين ويأمر بالذبح؟! فلم يرسل صلى الله عليه وسلم بالذبح للعالمين, بل بعث صلى الله عليه وسلم بالحنفية السمحة وبالرحمة المهداة للعالمين كافة مسلمهم وكافرهم, وعلى هذا النهج سار صلى الله عليه وسلم في حياته, وسيرته مليئة بالأحداث التي تؤكد هذا المعنى الرباني الذي أرسل به.

يتضح بالفهم الصحيح للآية القرآنية والحديث النبوي أن القتال وإرهاب العدو, والتهديد بالذبح لعدد من مشركي مكة إنما وقع بعد أن بادروا بالغدر ونقض العهد, وبالسب والشتم للرسول صلى الله عليه وسلم, فالمسلمون لم يبادروا بالقتل ولا هدد الرسول صلى الله عليه وسلم بالذبح إلا بعد أن وقع منهم ما وقع. فالآية والحديث يؤيدان بعضهما البعض في أن القتل إنما هو جزاء من نكث العهد أو حارب واعتدا على الإسلام والمسلمين وليس جزاء الكفر.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية(ت:728هـ): " الكفار إنما يُقاتلون بشرط الحِراب؛ كما ذهب إليه جمهور العلماء، وكما دل عليه الكتاب والسنة"(ابن تيمية, 2000م, 570/1).

وقال ابن قيم الجوزية(ت: 751): " الْقَتْلَ إِنَّمَا وَجَبَ فِي مُقَابَلَةِ الْحِرَابِ لَا فِي مُقَابَلَةِ الْكُفْرِ وَلِذَلِكَ لَا يُقْتَلُ النِّسَاءُ وَلَا الصِّبْيَانُ وَلَا الزَّمْنَى وَالْعُمْيَانُ وَلَا الرُّهْبَانُ الَّذِينَ لَا يُقَاتِلُونَ بَلْ نُقَاتِلُ مَنْ حَارَبَنَا. وَهَذِهِ كَانَتْ سِيرَةَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم في أَهْلِ الْأَرْضِ؛ كَانَ يُقَاتِلُ مَنْ حَارَبَهُ.." (ابن قيم الجوزية, 1997م, 110/1).

من أسباب ظهور هذه الجماعات هي فشوَّ الجهل الناتج عن غياب الوعي الديني, والفهم العميق للنصوص, ومعرفة مقاصد الشرع، والتخرص على معانيه بالظن من غير تثبت، أو الأخذ فيه بالنظر الأول، ولا يكون ذلك من راسخ في العلم . ومن شواهد جهلهم وسوء فهمهم الذي أدى بهم إلى ممارسات منحرفة فهمهم الخاطئ لحديث الرسول -صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: ((أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ)) (البخاري, 1987م, 85/4), حيث فهموا منه وجوب إخراج المشركين من جزيرة العرب, ورتبوا على ذلك استحلال دم المشرك الذي يدخلها بعهد وذمة, ويكفرون كل من يخالفهم الرأي. (العتيبي, 2010م, 15-16). وهذا الفهم غير صحيح , فإن المقصود بالإخراج عدم الإذن لهم بالإقامة الدائمة, أما المكوث المؤقت لعمل معين فيؤذن لهم كما أبقى النبي -صلى الله عليه وسلم يهود خيبر للعمل في الفلاحة, وقال النبي -صلى الله عليه وسلم: ((نُقِرُّكُم ما أَقَرَّكُم الله)) (البخاري, 1987م, 976/2) كما أن غاية ما يفيد الحديث إخراج المشركين من جزيرة العرب وليس فيه وجوب قتلهم, بل يترتب على قتلهم مفاسد عظمى للمسلمين على مستوى الأفراد والجماعات والدول, بالإضافة إلى هذا فإن جزيرة العرب ليس كل بلاد الخليج العربي على الراجح, بل يشمل مكة والمدينة وما والاهما. (الريس, 2006م, 87-91).

كما أن اتباع المتشابهات من النصوص, وترك المحكمات البينات يعتبر سبباً أساسياً من أسباب التطرف قديماً وحديثاً, فالتنظيمات الجهادية المتطرفة اليوم يعتمدون على المتشابهات اعتمادا كبيراً في المفاهيم التي رتبوا عليها نتائج خطيرة, في الحكم على الأفراد والجماعات وتقويمهم, وتكييف العلاقة بهم من حيث الولاء والبراء, والحب والكره, واعتبارهم مؤمنين يُتولون أو كفاراً يُقاتلون. وهذه السطحية في الفهم, والتسرع في الحكم, واستنباط الأحكام من النصوص دون تأمل ولا مقارنة نتيجة لترك المحكمات واتباع المتشابهات المحتملات, وهي التي جعلت طائفة الخوارج قديماً تسقط في ورطة التكفير لمن عداهم من المسلمين, وتقاتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه, بعد أن كانوا جنوداً في جيشه, لأنه قبل التحكيم في النزاع الذي بين وبين خصومه, حقناً للدماء ومحافظة على وحدة الجيش, فاتهموه بالخروج من الدين, لأنه حكم الرجال في دين الله ورددوا قولتهم المشهورة" لا حكم إلا لله" معتمدين على ظاهر قوله تعالى :[مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ] [يوسف: ٤٠]. وكان رد الإمام علي رضي الله عنه بكلمته التاريخية المأثور: " كلمة حق يراد بها باطل". ذلك أن رد الحكم إلى الله وحده سواء كان حكماً كونياً أو شرعياً, لا يعني إبطال تحكيم البشر في القضايا الجزئية التي يتنازع الناس فيها مادام تحكيمهم في إطار حكم الله وتشريعه. (القرضاوي, 1982م, 84-85).

وقد حاور أولئك القوم ابن عباس رضي الله عنه حبر الأمة وحاول اقناعهم وردهم إلى الحق, كما جاء في سنن البيهقي عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ قَالَ:" لَمَّا خَرَجَتِ الْحَرُورِيَّةُ اجْتَمَعُوا فِي دَارٍ وَهُمْ سِتَّةُ آلَافٍ أَتَيْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبْرِدْ بِالظُّهْرِ لَعَلِّي آتِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَأُكَلِّمُهُمْ. قَالَ: إِنِي أَخَافُ عَلَيْكَ. قَالَ قُلْتُ : كَلَّا. قَالَ : فَخَرَجْتُ آتِيهِمْ .... قُلْتُ: أَخْبِرُونِي مَاذَا نَقَمْتُمْ عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم وَصِهْرِهِ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ قَالُوا: ثَلَاثًا. قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالُوا: أَمَّا إِحْدَاهُنَّ فَإِنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي أَمْرِ اللَّهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ) وَمَا لِلرِّجَالِ وَمَا لِلْحُكْمِ. فَقُلْتُ: هَذِهِ وَاحِدَةٌ.... فَقُلْتُ لَهُمْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَمِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم مَا يَرُدُّ بِهِ قَوْلَكُمْ أَتَرْضَوْنَ؟ قَالُوا: نَعَمْ فَقُلْتُ لَهُمْ : أَمَّا قَوْلُكُمْ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي أَمْرِ اللَّهِ فَأَنَا أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ مَا قَدْ رَدَّ حُكْمُهُ إِلَى الرِّجَالِ فِي ثَمَنِ رُبُعِ دِرْهَمٍ فِي أَرْنَبٍ وَنَحْوِهَا مِنَ الصَّيْدِ فَقَالَ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ) إِلَى قَوْلِهِ (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) فَنَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ أَحُكْمُ الرِّجَالِ فِي أَرْنَبٍ وَنَحْوِهَا مِنَ الصَّيْدِ أَفْضَلُ أَمْ حُكْمُهُمْ فِي دِمَائِهِمْ وَإِصْلاَحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ وَأَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَوْ شَاءَ لَحَكَمَ وَلَمْ يُصَيِّرْ ذَلِكَ إِلَى الرِّجَالِ وَفِي الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) فَجَعَلَ اللَّهُ حُكْمَ الرِّجَالِ سُنَّةً مَاضِيَةً أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا : نَعَمْ. .... قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ : فَرَجَعَ مِنَ الْقَوْمِ أَلْفَانِ وَقُتِلَ سَائِرُهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ".(البيهقي, 1344هـ, 179/8).

ولا يزال هناك من بين الجماعات المتطرفة من يردد هذه الشعارات ويعمل لأجلها, ومن أبرزهم وأكثرهم شراً في يومنا هذا هي داعش, حيث كان من الأهداف المهمة لها هو ضرب نظام الحكم في العراق بعد عام 2003م, لأنه يتعارض مع مبدأ أساسي في منهجه الفكري-كما تدعي- وهو أن أي حكم وضعي من صنع الإنسان هو معارض لحاكمية الله في الأرض, وهو حكم جاهلي كافر يجب محاربته, ويعتبر أن أي شخص يعمل أو يستظل أو يحتكم إلى هذا النظام هو كافر أيضاً, وهذا الرأي يؤكده أغلب قادة السلفية الجهادية في خطبهم ومؤلفاتهم. (الخزاعي, 2015م, 151).

وفيما رواه ابن عباس دليل على أن أولئك القوم في ذلك الزمان ومن يتبعونهم في عصرنا هذا إنما يجهلون فهم كتاب الله, ويبترون الآيات وينتزعونها عن سياقها ليحتجوا بها على الناس, ويخدعوا السذج منهم, فلو تتبعنا سياق الآيات التي يستدلون بها

على الحاكمية المطلقة لله تعالى نجد أن مفادها ليس الحكم السياسي, أو الحكم في أمر دنيوي, بل مفادها إما القضاء والفصل بين النَّبي ومن يكذبونه, كما يفهم من سياق قوله تعالى: [قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ] [الأنعام: 57], أي قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم: إني على بصيرة من شريعة اللّه التي أوحاها اللّه إليّ، أما أنتم فقد كذبتم بالحق الذي جاءني من الله، ما عندي ما تستعجلون به من العذاب، إنما يرجع أمر ذلك إلى اللّه, بيده الخلق والأمر, إن شاء عجل لكم ما سألتموه من ذلك، وإن شاء أنظركم وأجّلكم لما له في ذلك من الحكمة العظيمة، يقضي الحق بيني وبينكم, وهو خير الفاصلين بيننا بقضائه وحكمه (الطبري, 2000م, 11/299-300, ابن كثير, 1999م, 3/264).

أو مفادها القدر والغيب والقدرة الكلية لله وحده, كما يفهم من سياق قوله تعالى:[وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ] [يوسف:67], فقد كان يعقوب υ حريصاً ألا يصيب أولاده ما يسوؤهم, فأمرهم بأن يدخلوا مصر من أبواب متفرقة, مع علمه أنه لا يغني عنهم من الله شيئاً لأن الأقدار والحكم بيد الله تعالى, فالحكم هنا يساق في مجالات القدر والغيب والقدرة الكلية, وهي لله وحده. (أحمد, 2004م, 170-171)

أو مفادها نفي الشرك, وإثبات توحيد الله سبحانه:[مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ] [يوسف:40]. أي: " ما الحكم في الربوبية, والعقائد والعبادات الدينية, إلا لله وحده يوحيه لمن اصطفاه من رسله, لا يمكن لبشر أن يحكم فيه برأيه وهواه ولا بعقله واستدلاله, ولا باجتهاده واستحسانه, فهذه القاعدة هي أساس دين الله تعالى على ألسنة جميع رسله لا تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة" (رضا, 2007م, 12/211).

فحاكمية الله تعالى للخلق ثابتة, وهي نوعان:

الأول: حاكمية كونية قدرية, أي أن الله هو المتصرف في الكون, المدبر لأمره, الذي يجري فيه أقداره, ويحكمه بسننه التي لا تتبدل, ما عرف منها وما لم يعرف, قال تعالى: [وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ] [يوسف:67],

الثاني: حاكمية تشريعية أمرية, أي حاكمية التكليف والأمر والنهي, والإلزام والتخيير, وهي التي تجلت فيما أرسل الله به الرسل, وبها شرع الشرائع, وفرض الفرائض, وأحل الحلال, وحرم الحرام(القرضاوي, 1994م, 709-710).

مما لا شك فيه أن رد الحكم إلى الله وحده سواء كان حكماً كونياً أو شرعياً لا ينكره أحد, إلا أن هذا لا يتعارض في شرع الله ودينه مع حاكمية الإنسان, ولا يعني إبطال تحكيم البشر في القضايا الجزئية التي يتنازع الناس فيها مادام تحكيمهم في إطار حكم الله وتشريعه. بل وهناك آيات تحث على ذلك, كاتخاذ الحكم بين الزوجين حال حصول الشقاق بينهما كما في قوله تعالى: [وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا] [النساء:35], فهذه الآية فيها دلالة وإشارة واضحة على جواز تحكيم البشر فيما بينهم فيما يتعلق بأمورهم الدنيوية(القرضاوي, 1982م, 84-85).

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين بعث معاذ بن جبل إلى يمن قال له: ((كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟)) قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ. قَالَ:((فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟)). قَالَ: أَقْضِي بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ . قَالَ: ((فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ؟)). قَالَ: أَجْتَهِدُ بِرَأْيِي لاَ آلُو. قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ: ((الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِى وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِى رَسُولَ اللَّهِ))(البيهقي, 2003م, 10/ 195) , ففي هذا الحديث دلالة واضحة على جواز تحكيم البشر- ممن يتولون أمور الناس-, في المتغيرات وفي النوازل المستحدثة, فإنه حينئذ يدخل في باب الاجتهاد فيما لا نص فيه, فلا يدعى أنه حكم بغير ما أنزل بل ويؤجر على ذلك. وعلى الرعية اتباعه وإن كرهوا. قال صلى الله عليه وسلم: ((السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ))(البخاري, 1987, 6/2612), وبناء على هذا الحديث لا يجوز الخروج عن طاعة ولي الأمر مالم يأمر بمعصية, كما لا يجوز تكفيره واستباحة دمه, والخروج عليه. وقد أخبر صلى الله عليه وسلم ما سيكون من بعده من ترك السنة, وإظهار البدعة, وغير ذلك من قبل من يولون أمور المسلمين, إلا أنه مع ذلك لم يأمر بالخروج عليهم أو تكفيرهم وقتلهم, قال صلى الله عليه وسلم:((سَيَلِي أُمُورَكُمْ بَعْدِي، رِجَالٌ يُطْفِئُونَ السُّنَّةَ، وَيَعْمَلُونَ بِالْبِدْعَةِ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلاَةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا)) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُهُمْ، كَيْفَ أَفْعَلُ؟ قَالَ: ((تَسْأَلُنِي يَا ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ كَيْفَ تَفْعَلُ؟ لَا طَاعَةَ، لِمَنْ عَصَى اللَّهَ))(ابن ماجه, 2009م, 2/ 956) . " وَأَمَّا لُزُومُ طَاعَتِهِمْ وَإِنْ جَارُوا، فلأنه يَتَرَتَّبُ على الْخُرُوجِ مِنْ طَاعَتِهِمْ مِنَ الْمَفَاسِدِ أَضْعَافُ مَا يَحْصُلُ مِنْ

جَوْرِهِمْ"(الأذرعي, 2005م, 381). وعليه فلا نجد في الكتاب ولا في السنة ما يستدل به للخروج على الحكام أو تكفير هم أو إباحة دمائهم.

كما أن الآيات التي يستدلون بها على كفر وظلم وفسق من لم يحكم بما أنزل الله, يجب أن لا تفهم بمعزل عن مناسبة نزولها, وعن السياق الذي وردت فيه, فسياق الآيات الثلاث يختلف عن بعضه البعض, قال محمد رشيد رضا (ت: 1354هـ-1935م): "ففي الآية الأولى كان الكلام في التشريع وإنزال الكتاب –التوراة-, مشتملا على الهدى والنور والتزام الأنبياء وحكماء العلماء العمل والحكم به والوصية بحفظه. وختم الكلام ببيان إن كل معرض عن الحكم به لعدم الإذعان له, رغبة عن هدايته ونوره, مؤثراً لغيره عليه, فهو الكافر به...أما الآية الثانية: فلم يكن الكلام فيها في أصل الكتاب الذي هو ركن الإيمان وترجمان الدين, بل في عقاب المعتدين على الأنفس أو الأعضاء بالعدل والمساواة, فمن لم يحكم بذلك, فهو الظالم في حكمه...أما الآية الثالثة, فهي في بيان هداية الإنجيل وأكثرها مواعظ وآداب وترغيب في إقامة الشريعة على الوجه الذي يطابق مراد الشارع وحكمته, لا بحسب ظواهر الألفاظ فقط, فمن لم يحكم بهذه الهداية ممن خوطبوا بها فهم الفاسقون بالمعصية...". (رضا, 2007م, 6/ 299).

لو أخذنا بالقاعدة الأصولية التي تقول:" العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"(الرازي, 1997م: 57/4), وعموم اللفظ دلَّ على وجوب الاحتكام إلى شرع الله عزّ وجل, وأن من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر فهذا مما لا شك فيه من حيث العموم والظاهر. إلا أن استدلال التنظيمات الجهادية بهذا العموم على تكفير الحكام وجيوشهم, كفراً يخرجهم عن الملة ويبيح دماءهم استدلال بالآيات في غير موضعها, ناشئ عن فهمهم الخاطئ للنصوص, واتباع المتشابهات منها كالخوارج المتقدمين, فعن سعيد بن جبير رضي الله عنه: "وَمِمَّا تَتْبَعُ الْحَرُورِيَّةُ – الخوارج- مِنَ الْمُتَشَابِهِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: [وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ] [المائدة:44] ويقرؤون معها:[... ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ][الأنعام:1], فَإِذَا رَأَوُا الإِمَامَ يَحْكُمُ بِغَيْرِ الْحَقِّ قَالُوا: قَدْ كَفَرَ, وَمَنْ كَفَرَ عَدَلَ بِرَبِّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ فَهَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةُ مُشْرِكُونَ، فَيَخْرُجُونَ فَيَفْعَلُونَ مَا رَأَيْتَ, لِأَنَّهُمْ يَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ "(الآجري, 1999م, 1/ 341). وقال محمد رشيد رضا:" أَمَّا ظَاهِرُ الْآيَةِ فَلَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْفِقْهِ الْمَشْهُورِينَ..."(رضا, 2007م, 6/300). وقال ابن عباس:" نَّهُ لَيْسَ بِالْكُفْرِ الَّذِى تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ إِنَّهُ لَيْسَ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنْ مِلَّةٍ [... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ] لَكِن كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ"((البيهقي, 1344هـ, 20/8).

تبين مما سبق أن ما استدلت بها التنظيمات الجهادية كانت عبارة عن نصوص مجتزأة عن سياقها, وفيها من الأقوال التي لا يجوز بناء الحكم القطعي عليها, كما أنها اتبعت المتشابهات من النصوص دون المحكمات. وبناء على هذا لا يجوز اطلاق القول بتكفير الحكام, وقد علق محمد ناصر الدين الألباني(ت: 1420هـ) على قوله تعالى: [... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ] بقوله: " من آمن بشريعة الله تبارك وتعالى وأنها صالحة لكل زمان ولكل مكان ولكنه لا يحكم فعلا بها إما كلاً وإما بعضاً أو جزءاً فله نصيب من هذه الآية، له نصيب من هذه الآية لكن هذا النصيب لا يصل به إلى أن يخرج عن دائرة الإسلام..." (الألباني, 2016م, 218/3).

تبين مما سبق أن أحد أهم أسباب ظهور الأفكار والتنظيمات المتطرفة في عصرنا هذا والذين ينسبون أنفسهم إلى الإسلام وهو منهم بريء, هي أزمة الفهم الخاطئ للآيات القرآنية والأحاديث النبوية, علماً أن الفهم هو الذي يحدد فكر الإنسان وتصوره, وبناءاً على ذلك الفكر والتصور تأتي الحركة والعمل. وكذلك من الأسباب الهامة فشوَّ الجهل الناتج عن غياب الوعي الديني. واتباع المتشابهات من النصوص, وترك المحكمات البينات.

وقد سلك المتطرفون اليوم مسلك الخوارج في تكفيرهم للناس, واستباحة دمائهم, وفهمهم المتشدد للآيات والأخذ بظاهرها دون تدبر وتفكر, كل هذا إنما يرجع لجهلهم بكتاب الله, وابتعادهم عن العلم والعلماء, وحداثة سنهم, وقد قال الرسول -صلى الله عليه وسلم فيهم: ((يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))(البخاري, 1987م, 244/4). وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله, فقد رأينا النموذج الحي لهذا الحديث في مؤسسي إحدى الجماعات المتطرفة المعاصرة وهو محمد يوسف وأقرانه الذين أسسوا جماعة بوكو حرام وكانوا قد تخلوا عن التعليم النظامي، وحصلوا على قدر من التعليم الديني غير النظامي، فعدم حصولهم على قدر كاف من التعليم النظامي المعتدل يستطيعون به أن يحصنوا أنفسهم وأن يفهموا النصوص فهماً صحيحاً ويكون لهم حصنا منيعا من الوقوع في هاوية التطرف, كان سبباً لتطرفهم وغلوهم, إضافة إلى ذلك حداثة سنهم كان سبباً رئيسيا من أسباب تطرفهم. فأمثال هؤلاء يفتقرون إلى العلم وإلى المثل العليا من العلماء والدعاة ليبصروهم ويرشدوهم إلى الصواب بالحكمة والموعظة الحسنة, ويبعدوهم عن غيّهم وضلالهم واعتدادهم بأهوائهم مقابل النصوص, فعلى العلماء والدعاة أن يواجهوا الفكر بالفكر, وأن يقتدوا في ذلك بابن عباس حبر الأمة

حينما حاور رضي الله عنه أولئك القوم, وحجهم بما في كتاب الله من صور التحكيم فرجع عدد كبير منهم إلى الحق المبين. وعلى الأمة أن تدرأ عن نفسها خطر هذه الجماعات والفرق بالتمسك بالكتاب والسنة والفهم الصحيح لهما, والابتعاد عن اتباع الأهواء والجهال, وعدم الانخداع بمقولاتهم الكاذبة.

2-3 الأسباب السياسية:

يشكل الاستبداد السياسي محضناً كبيراً لاحتضان الأفكار الجهادية، واللجوء للتطرف والعنف كوسيلة للرد على الأنظمة الحاكمة التي تقف أمام اختيارات شعوبها في العيش بحرية. فالأسباب السياسية في أغلب الأحيان تقف وراء إيجاد الفكر المتطرف, وأكثر أعمال العنف والإرهاب, ولا سيما في الدول الاستبدادية الشمولية, وذلك بسب غياب التفاهم والحوار الديمقراطي, وفرض سياسات غير عادلة, وتهميش المواطن, وعدم مشاركة جميع الطبقات والفئات الاجتماعية في الحكم, ولا سيما في أوقات الأزمات والكوارث, بما يشعره بالكبت والقهر السياسي، وأنه مُهمش لا دور له, ويقتل الرغبة في الإنجاز والسعادة والانتماء, ومن هنا يسود الشعور باللامبالاة والاكتئاب السياسي, ومن ثم الابتعاد عن المشاركة والمساهمة في إحداث التغيير المنشود في الوطن. (الحيدري, 2015م, 35).

المظالم وأساليب القمع التي ترتكب من قِبَل منْ شأنهُم أن يعدلوا بين الناس يوجد روحاً من السخط تَسْتَسْنح الفرصة للتعبير عن الرأي الذي حكر أو سجن أو عوقب صاحبه وضيق عليه. كما أن سياسة الاستعمار والسيطرة الاستعمارية والظلم من الدول ذات النفوذ وانتهاك الحقوق واحتلال الأراضي وانتهاك الحرمات والقتل والتدمير والاغتصاب. يعتبر سبباً رئيسياً لكثير من صور التطرف الشائعة في المجتمعات الإسلامية, فلكل فعل رد فعل. وقد مثلت تصرفات القوات الأمريكية المنافية للإنسانية والاحترام للأعراف والقيم العراقية أثناء عملهم في العراق عاملاً لإثارة مشاعر الغضب عند المسلمين والتي نتج عنها تدفق الجهاديين إلى العراق للقتال.(السدلان, 11,2004 م, والخزاعي,2015م, 116- 117).

لم تكن التنظيمات السلفية(القاعدة) في العراق قبل الاحتلال الأمريكي عام 2003م, تحظى بتأييد قوي من قبل الشعب, بل كان التأييد ضعيفاً حتى بعد عام 2003م وإلى عام 2010م. و بلغت درجة من الضعف بين عامي 2008-2010 حتى كادت أن تنتهي, فلم يكن هناك أي إمكانية لتمدد التنظيمات السلفية التكفيرية في العراق, لذا قدمت القاعدة دول أخرى كالأردن والمغرب والباكستان واليمن ونيجيريا وبلاد الحرمين على العراق, فلم يكن العراق في قائمة الدول التي يفكر فيها التنظيم بالحصول على موطئ قدم فيه في المستقبل المنظور, لكن نتيجة لظروف السياسية السيئة بين مكوناته المختلفة وعلى رأسها المكون السني الذي أدعى التهميش والاقصاء, وعدم جدوى المشاركات السياسية لمختلف الأطراف في التقليل من آثار سياسة التهميش للأطراف السياسية المناوئة, وعدم جدوى الاعتصامات السلمية التي كانت تجابه بمواجهات عسكرية أدت إلى مقتل المئات من المعتصمين من المواطنين الأبرياء, كل تلك الظروف مجتمعة أدت إلى زيادة التعاطف مع التنظيمات السلفية المسلحة دون وعي كامل لعقيدتهم السلفية, ومناقضة تلك العقيدة لعقيدة أهل السنة والجماعة, ووقوف الكثير من التنظيمات السنية المسلحة إلى جانب التنظيمات السلفية- الدولة الإسلامية في العراق- في مواجهة الحكومة المركزية في بغداد. (البكري, 2014م, 108).

إن انتشار الفوضى والاضطرابات في أجزاء عديدة من العراق ساهم في تمكين زعيم تنظيم الدولة الإسلامية من شنّ هجوم على اثنين من سجون العراق الرئيسية هما "أبوغريب" و "التاجي" , ونجح في إطلاق سراح 500 معتقل من مقاتلي تنظيم القاعدة في سجن أبو غريب. فهذا الهجوم لم يكشف عن حجم قوة الدولة الإسلامية وتحقيقها انتصاراً معنوياً كبيراً على الحكومة المركزية فقط, وإنما أدى إلى انضمام المئات من المقاتلين الغاضبين المدربين والخبراء في أعمال القتال والتفجير إلى صفوفها, للثأر من الحكومة وأنصارها .(عطوان, 2015م, 113-114).

إن نجاح العملية السياسية يتوقف على مدى قدرة الحكومة أو الفاعليين السياسيين على تنظيم شؤون الدولة بصورة جيدة ومرضية, وذلك بتغيير طبيعة النظام من الاستبداد إلى الشورى, ومن مصادرة الرأي إلى الحرية في الرأي, ومن الكبت إلى المعارضة, ومن مصالح الأفراد والأسرة إلى مصالح الأمة من حيث هي كل لا يتجزأ. ومن حكم الأفراد إلى حكم المؤسسات الدستورية(عبدالحميد, 2002م, 73).

فالتهميش السياسي والحكومي, والفراغ الأمني, وغياب التوازن والعدل, وتضييق دائرة الشورى والديمقراطية أو انعدامها , وتمادي الظلم والاستبداد الذي يتعرض له أي شعب من الشعوب يعتبر عاملاً أساسياً وسبباً رئيسياً من أسباب التطرف والانخراط في أعمال العنف والإرهاب. لذا فعلى الحكومات ومؤسساتهم والمعنيين بشؤون هذا الأمر القضاء على مسوغات التطرف والإرهاب كوسيلة

لاسترجاع الحقوق أو تنفيذ مطالب معينة, وتوفير الأمن والاستقرار لشعوبهم, والمحافظة على حقوقهم ومنحهم حرية التعبير عن آرائهم, وتفعيل دور الشباب في مجتمعاتهم وبذلك ليكونوا أقل عرضة للتطرف والإرهاب.

3-3 الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والنفسية:

لاشك أن هذه الأسباب بأخطارها المتلاحقة يؤدي دوراً هاماً في جنوح الفرد وخاصة الشباب إلى التطرف والإرهاب. فالاقتصاد من العوامل الرئيسة في خلق الاستقرار النفسي لدى الإنسان, فكلما كان اقتصاد الفرد ودخله مضطرباً كان رضاه واستقراره مضطربا, وقد يتحول هذا الاضطراب وعدم الرضا إلى كراهية تقوده إلى النقمة على المجتمع. فالأزمة الاقتصادية التي تعيشها أغلبية الدول في وقتنا الحاضر, والتي تؤثر في الطبقة الدنيا في المقام الأول, تشكل دافعاً قوياً إلى الإرهاب والتطرف والعنف, فتدهور الظروف المعيشية بفعل انتشار البطالة وتدهور الخدمات والنقص في مصادر الثروة والسلع, وسوء توزيع الثروة الوطنية والنظرة المادية السائدة في العالم, أدت إلى ظهور الفوارق الطبقية في المجتمع, وبالتالي أصبحت الطبقة المحرومة تعاني من الإحباط الذي يولد شعوراً سلبياً من السخط والحقد تجاه المجتمع, وتستثير في نفسها النزعة العدوانية, تتخذ من الانحراف وسيلة للثورة على مجتمعها, لكونها غير قادرة على الوفاء بحاجاتها الأساسية, التي تحمي وجودها وتحافظ على بقائها, وبالتالي تكون نفسها مرتعاً خصباً لكل الأفكار المغرية, وعرضة لكل إغراء مادي, ويكون رد فعلها تبنّي التطرف المؤدي إلى العنف بشكل فردي أو جماعي, وضرب مصالح المجتمع بدافع حب الانتقام, والاستجابة التلقائية لدعاة التغيير بالعنف, وقد يستثمر هذا الشعور بعض المغرضين والمثبطين فيزينون لها قدرتهم على تحسين وضعها الاقتصادي والاجتماعي من دون النظر إلى عواقب ذلك وما يترتب عليها من مفاسد وأضرار. (السدلان, 2004م, 30, موسى, 2017م, 45).

بتدهور الاقتصاد تتدهور الأوضاع الاجتماعية, وتتفكك الأواصر الأسرية نتيجة تعقد المشاكل, واستفحال مشاكل البطالة. وتعد البطالة من أخطر المشكلات التي تواجه اقتصادات العالم, والارتباط وثيق بينها وبين التطرف, حيث أن البطالة تعتبر آفة اقتصادية واجتماعية ونفسية بالنسبة للفرد والمجتمع, فهي آفة اقتصادية إذا شاب النظام الاقتصادي للمجتمع خلل واضطراب وقصور في الموارد البشرية وقلة فرص العمل وتعطيل الفرد كقوة بشرية خلقت للعمل. وآفة اجتماعية إذا انهارت الأسرة وانحرف بعض أفرادها اجتماعياً وسار في ركاب التطرف. كما وتعتبر آفة نفسية إذا شعر الفرد بالفقدان والضياع والاغتراب عن الواقع وعن الذات وعن المجتمع, فالحياة بلا عمل فناء وعبء لا يحتمل. فانتشار البطالة في المجتمع داء وبيل يولد الإحباط واليأس، وأيما مجتمع تكثر فيه البطالة, وتنضب فيه فرص العمل, يفتح أبوابًا من الخطر على مصارعها، من امتهان التطرف والإرهاب والجريمة. (الجراد,2014م, 342).

ففي العراق في نهاية عام 2008م, سلمت القيادة العسكرية الأمريكية قوات "الصحوات" أو " أبناء العراق" التي بلغ تعدادها في حينها ما يقرب من المئة ألف مقاتل, جميعهم من أبناء الطائفة السنية إلى الحكومة المركزية, وأوصت بدمج هذه القوات مع قوات الجيش والأمن العراقية التابعة للدولة, وكان هؤلاء قد تدربوا تدريباً جيداً وتسلحوا من قبل خبراء عسكريين أمريكيين. إلا أن الحكومة المركزية طردت نصف هؤلاء ولم تستوعبهم, وأوقفت دفع مرتباتهم الشهرية التي تصل إلى 300دولار أمريكي, ووعدت النصف الثاني استيعابهم في الوزارات العراقية المختلفة وبعض أجهزة الأمن لكنها لم تف بالوعد. (عطوان, 2015م, 105-106).

التطرف والغلو هو انعكاس لأوضاع يعيش فيها الإنسان, وما تعاني منها المجتمعات المسلمة من عدم الحكم بما أنزل الله, وظهور فرق ومذاهب وآراء مختلفة تفرقت عن دينها, واختلال العلاقة بين الحاكم والمحكوم, وغياب دور وأثر العلماء وانشغالهم في المجتمع, مدعاة لتصدير غير الأكفاء الذين يضلون الناس بالفتوى بالباطل أو بغير علم, كل هذه الأمور كانت لها دور في تدهور الأوضاع الاجتماعية, وتعرض المجتمع للهلاك وظهور التطرف فيه لاسيما بين أوساط الشباب. كما أن التفكك الأسري والاجتماعي حالة تشهدها بلدان عديدة في العالم, مما يؤدي إلى انتشار الأمراض النفسية والمنحرفين والشواذ, فالإنسان يتأثر بالمحيط السيء والوسط الفاسد الذي يعيش فيه (الحسين, د-ت, 8-12).

فالصفات النفسية يكتسبه الفرد من البيئة المحيطة به –الأسرة أو المجتمع- فأي خلل في ذلك المحيط ينعكس على سلوك وتصرفات الفرد, حتى يصبح جزءاً من تكوينه وتركيبه النفسي, وإن إخفاق الفرد وفشله في الحياة, سواء كان في الحياة الأسرية أو في التعليم, الذي يعد صمام الأمان في الضبط الاجتماعي ومحاربة الجنوح الفكري والأخلاقي لدى الفرد, أو الفشل المعيشي أو في المسيرة الاجتماعية, يُكوّن لديه شعوراً بالنقص في ذاته, وبالإحباط وخيبة أمل في الحصول على ما يريده ويصلحه, فيتصرف وفق الإيحاءات الخارجية الصادرة ممن يعتقد أنهم رمز القوة والحرية له من الطوائف الضالة والثلل التائهة, ما يظن أنه يغطي فيه إخفاقه وفشله, ويستعيد به نجاحه, حتى لو أدى ذلك به إلى ارتكاب جرائم العنف والإرهاب. (السدلان, 2004م, 17- 18).

"إن التحليل النفسي للمتطرفين "الحركيين" والمطرفين "المقلدين" يكشف لنا عمق الانطباع بالبيئة المضطربة التي تعيشُ بين المتناقضات, الذي عكس على نفسياتهم عُقم الفهم السليم للإسلام عموما, وللدعوة إليه خصوصاً, فغدا كلُّ صاحبِ قدراتٍ فكرية للسعي إلى تشكيل تنظيم حركي قائم على الانطباع بالعنف والضغط النفسي لقبولِ أفكاره ولتأييد آرائه, وللفت أنظار الناس إليه, وللإصغاء إلى توجيهاته, التي يُصوّر من خلال الحل الأمثل لخلاص العباد من الظلم والاستبداد, فيسارع إلى مواجهةٍ عنيفةٍ مع حكام بلاده, تنتهي إلى اعتقال قيادة التنظيم وأعضائه. وبين البداية لهذه الحركة ونهايتها ينشأ متطفلون على هامشها يحملون أفكارها وينشرون آراءها بين العامة, وينحسر هذا التطفل عن بذور جديدة للتطرف.(العك, 2009م, 47-48).

الجانب النفسي, الناجم عن اختلال القيم والفراغ الروحي والاضطراب والقلق وفقدان الشخصية السوية وانعدام فرص الحياة التي تحقق طموح الشباب وأحلامه, كلها يؤدي إلى الإحباط واليأس, فتولد الرغبة في الانتقام, وبذلك تكون أهم شريحة مهيأة لتحقيق أهدافها وحل مشكلاتها بأي وسيلة كانت, وبذلك تكون هدفا لأصحاب التوجهات المتطرفة, بحيث يستطيعون استدراجهم باستغلال حاجاتهم, وتوظيف نقمتهم للالتحاق بركب المتطرفين. (الجراد, 2014م, 331).

فبالإضافة إلى الاستبداد والتهميش السياسي الذي عانى منه الشعب العراقي والذي كان سببا رئيسياً من أسباب الانضمام الى التنظيمات الإرهابية المتطرفة, نلاحظ هنا أن الشعب عانى مرة أخرى من نوع آخر من الاستبداد وهو الاستبداد الاقتصادي حيث قطعت الحكومة رواتب فئة كثيرة من " أبناء العراق" وعطلهم عن العمل, فأدى هذا إلى انتشار البطالة المؤدي إلى الشعور باليأس والاحباط والسخط تجاه الحكومة, فجرت هذه الأمور في صالح التنظيمات الإرهابية –الدولة الإسلامية- التي كادت أن تنتهي, فاستطاعت من استغلال الوضع واستثمار "أبناء العراق" بدلاً من استهدافها واستهداف عناصرها. ويذكر بعض المصادر "أن الراتب المعتاد للجندي في "الدولة" يبلغ 600 دولار, في حين أن المقاتلين المتمرسين وأصحاب الاختصاصات...يحصلون على رواتب أعلى" (عطوان,2015م, 223). فهذه الأسباب مما لاشك دافع قوي في توفير تربة خصبة لنمو التطرف والإرهاب. كما ولاحظنا في جماعة بوكو حرام أن الجهل والتعليم غير النظامي كان عاملاً رئيسياً لإنشائها, فبالإضافة إلى ذلك أن السبب في توسعها وتمددها ومن ثم انضمامها إلى الدولة الإسلامية هو هذه الأسباب نفسها من انتشار الفقر المدقع والبطالة والفساد المالي. لذا لاحظنا أن الحكومة النيجيرية أبدت استعدادها لتوقف هذا التمرد من خلال معالجة قضايا الفقر والبطالة والظلم الاجتماعي وغير ذلك. فعلى الحكومات وجميع المعنيين بشؤون الأمة معالجة ظاهرة الاستبداد الاقتصادي, وذلك بالمساواة بين طبقات المجتمع جميعها, ومعالجة مشكلة البطالة لدى الفرد, وتوفير الاحتياجات الأساسية لهم على نحو متوازن, وذلك لأن البناء الاقتصادي يسبب نمو علاقات اجتماعية معينة فإذا كانت مشبعة اقتصادياً أحدثت التماسك والترابط الاجتماعي, وبالتالي يشعره بالأمان والراحة النفسية.

4-3 وسائل الإعلام (تكنلوجيا الاتصالات الحديثة):

تتمتع وسائل الإعلام بأنواعها - المرئية والمسموعة والمقروءة والالكترونية- بمكانة وأهمية كبيرة داخل التنظيمات الإرهابية المتطرفة, وذلك لمعرفتهم لما لهذه الوسائل من دور فعال لإيصال فكرهم الجهادي التكفيري للناس, واستقطاب الشباب إليهم من مختلف الدول, والحصول على الدعم المادي واللوجستي من مختلف الأطراف. وسخرها بعضهم لنشر الخوف والذعر بين الناس لإبراز قوة تنظيمها وشرعنتها, فهي إحدى أهم الأسلحة المعنوية التي تعتمد عليها التنظيمات ولا تستغني عنها, ومن أبرز هذه التنظيمات اعتماداً على هذه الوسائل هي داعش إذ يتمتع الإعلام داخل تنظيمها بما لم يتمتع به في أية تنظيمات أخرى.

فوسائل الإعلام اليوم أصبحت من الوسائط القوية ذات الأثر الكبير في خدمة التطرف والإرهاب, لأنها قللت من تأثير المسافة والزمن المعيق لانتقال الأفكار والمعلومات والاتجاهات وربما عدمت هذا التأثير إلى حد كبير, بحيث أصبح من السهل الاتصال بشكل فوري ومباشر وبالصوت والصورة مهما بعدت المسافة الفاصلة بين الأطراف, كما أنها أصبحت في متناول يد الجميع, فيمكن الاستفادة من خدمتها من دون حدود زمانية أو مكانية. فقد ألغت الحدود, وأزالت السدود, واختزلت المسافات والأزمان, واخترقت التاريخ, وتكاد تلغي الجغرافيا, كل هذه الميزات أغرت المتطرفين والإرهابيين ذوي الحاجة الماسة لمثل تلك الخدمات التي تقدمها هذه التكنولوجيا وفي شتى مراحل عملهم, لحاجتهم إلى التنسيق والتواصل المستمر فيما بينهم لضمان سريان سريع ومستمر للتعليمات, إذ يضمن أقصى درجات التنظيم لنشاط المجموعات الإرهابية المتطرفة. فقد استغل الإرهابيون هذا التطور والذي ساهم في ظهور الإرهاب الدولي, فأصبح من اليسير نشر أفكارهم التي يعتنقونها عبرها, وكذلك القيام بعمليات إرهابية في دول أخرى غير الدول التي مثلت مأوى للإرهابيين, وأصبحت المجموعات الإرهابية تشمل عناصر من جنسيات مختلفة تحقق أهدافها من دون أخذ أي اعتبار لعامل البعد. (أبو دامس, 2005م, 86, 98).

لم يقتصر الإعلام على إلغاء الحدود السياسية والسدود الأمنية, بل بدأ يتجاوز الحدود الثقافية, ويدخل في الخصائص النفسية والفكرية, وتشكيل القناعات العقدية, فيعيد بناءها وفق الخطط المرسومة لصاحب الخطاب الأكثر تأثيراً, والبيان الأكثر سحراً, والتحكم الأكثر تقنية, إن المعركة الحقيقية والفاصلة اليوم هي معركة الإعلام, لذا لا بد من إدراك الأبعاد المتعددة والخطيرة للعملية الإعلامية, والتي تبدأ بالتسلسل إلى داخل الأمة فتخترقها, ثم تعمل على التحكم فيها واحتوائها, وبذلك تسيطر على عقلها وفكرها وعواطفها واهتماماتها, فتعيد تشكيلها وفقاً للخطط المرسومة لديها, وأخطر ما في هذا الاختراق والتحكم توهم الشعوب المخترقة أنها تملك إرادتها, وتصنع رأيها, وتتخذ قرارها بنفسها, فلا عرفت الداء ولا اهتدت إلى دواء. والتحديات الكبيرة التي تواجه الإسلام والمسلمين في يومنا هذا تبرز عبر تجنيد ترسانة الإعلام لتشويه صورة الإسلام والمسلمين في مختلف أنحاء العالم(الدليمي, 2013م, 173-174) .

لقد أصبحت قوة لها أبعادها السياسية والفكرية والاجتماعية والنفسية, وهي إما تكون قوة إيجابية داخل المجتمع وتنقل للناس الأفكار والآراء والاتجاهات, من خلال نشاطها الاتصالي, فيتم تعزيز القيم السائدة في المجتمع وتعمل على تماسكه وتدعيم بنائه, وتعبر عن قضايا وتكشف ألوان الفساد والمحاباة والانحراف, وتساهم في دفع عجلة التنمية فيه. أو تكون قوة سلبية إذا أُسيئ استخدامُها, فهي تساهم سلباًأو إيجاباً في تكوين عقول الناس واتجاهاتهم وقيمهم. (الدليمي, 2013م, 71).

فالإعلام اليوم ليس مجرد جهاز فحسب, بل هو مؤسسة اجتماعية فعالة, غالباً ما له تأثير أكبر من تأثير أي مؤسسة أخرى, وأصبح من الموجودات التي تفرض نفسها بقوة, وهو يخاطب العقل والعاطفة على حد سواء, إضافة إلى هذا فإنه يلعب دور المعلم والمربي, ويقدم الأنموذج الذي يقتدى به, وهذه أمور يتأثر به الجمهور تأثيراً كبيراً, وبالتالي فليس هناك غالباً وسيلة من وسائل التأثير ولا مؤسسة من مؤسسات التنشئة تضاهيه, فأجهزة الإعلام–المقروءة والمسموعة والمرئية- تقتحم علينا حياتنا الخاصة, وليس لها وقت معين ولا مدة محددة ولا تخضع للقيود, وبالتالي فهي مؤثرة وخطيرة جداً, وخطورتها تكمن في تواجدها وانتشارها الأفقي والرأسي في حياة الفرد والمجتمع(العواجي , 1988م,17).

بتطور وسائل الإعلام في حاضرنا أصبح من السهل نشر الأخبار, وتغطية الأحداث الجارية في العالم, ومن هذه الأحداث ما يقع من عمليات إرهابية, إذ تسارع وسائل الإعلام إلى تغطية ميدان العملية الإرهابية وإبراز فظائعها من إزهاق للأرواح ودمار في الممتلكات, وتتابع التفاعل مع الحدث الإرهابي وردود الفعل عليه مع التهويل, رغبة في اجتذاب أكبر عدد من الجمهور لمتابعتها. والهدف من هذا هو زيادة عدد المشاهدين والمستمعين بغض النظر عن النتائج السلبية لهذه العملية, وبذلك يصبح الإعلام وسيلة لمساندة الإرهاب ومساعدته للوصول إلى مرامه وغاياته, سواء كان ذلك بقصد أو بغير قصد, وهذا ما يريده الإرهابيون ويسعون له, إذ يرون في التغطية الإعلامية لجرائمهم معياراً مهماً لقياس مدى نجاح فعلهم الإرهابي.(دامس, 2005م, 96).

في ضوء ما سبق يجب على الجهات المعنية العمل على بلورة قانون يهتم بمراقبة عملية التغطية للأعمال الإرهابية, وتمنع المبالغة والإفراط في عرض كل صغيرة وكبيرة من الأعمال الإرهابية خاصة على القنوات التلفزيونية, بل يجب الاكتفاء بمعرفة اللازم منها, لأن كثافة التغطية والتركيز على هذه العمليات يؤدي إلى ما تبغي التنظيمات الإرهابية الوصول إليها من إيصال صوتهم وأفكارهم للآفاق ونشر الخوف والرعب منهم بين الناس, كما حصل هذا مع تنظيم داعش, فإن كثافة التغطية لأعمالهم الإرهابية والإجرامية وانتهاكاتهم جعل لهم صيتا في جميع أنحاء العالم, وجعل الناس يرهبونه ويخافونه بمجرد سماع اسمهم, بل أصبح البعض مستعداً بإخلاء منازله والهجرة والنزوح إلى أماكن وبلاد أخرى خوفا من قوانينهم وعقوباتهم الصارمة الشديدة على الأبرياء من الناس فضلاً عن غيرهم, ولا شك أن سبب هذا الخوف والرعب يرجع إلى حد كبير إلى ما عرفه الناس عن هذا التنظيم من خلال وسائل الإعلام. كما كان لها الدور الكبير في استقطاب الناس إليه وخاصة الشباب ممن ليس له إلمام بالدين الحنيف, إذ انخدعوا بمقولاتهم المعسولة المسمومة, واقتنع بعضهم بفكرهم وإن لم ينضموا إلى التنظيم, بمجرد ما سمعوه عبر وسائل الإعلام من أنصار التنظيم من الاستدلالات الخاطئة المجتزأة من النصوص لتبرير أعمالهم والاقتناع بمنهجهم.

مع أن الإعلام يلعب دوراً كبيراً في خدمة الإرهاب والإرهابيين في تأثيره الفعال على تفكير الناس ومعتقداتهم ومشاعرهم وبالتالي على سلوكهم, الأمر الذي يستدعي مجابهة هذا الفكر المنحرف وكشف زيفهم وبيان انحرافاتهم إلا أن وسائل إعلامنا في كوردستان بشكل عام لم تكن بالمستوى المطلوب, فلم تحمل عناء بيان خطأ المنهج الذي ينتهجه التنظيم, وأنه تشويه لصورة الإسلام الحقيقي الذي عرف بسماحته ورحمته مع الآخر, بل غالبا ما كانت الوسائل تكتفي ببيان وإظهار ما يقوم به التنظيم من القتل والإجرام والتلذذ بقطع الرؤوس سواء مع المسلمين أو غيرهم.

4-الخاتمة

في ختام هذا البحث توصلنا إلى جملة نتائج نوجز أهمها فيما يلي:

1. إن استخدام العنف والتنطع والتشدد في الأقوال والأفعال تجاه الآخر إنما هو نتيجة للتطرف والغلو والبعد عن وسطية الإسلام واعتداله.
2. تؤمن جميع التنظيمات الإرهابية المتطرفة المعاصرة بالفكر الجهادي السلفي التكفيري, وتحلم باستعادة دولة الخلافة الإسلامية بأي وسيلة كانت, بدعوى الاصلاح وإقامة دين الله على الأرض.
3. على الرغم من وجود القاسم المشترك بين هذه التنظيمات وهو أيديولوجية جهادية سلفية متطرفة, إلاّ أن بينها فروقات واضحة لا يخفى, منها ما تتعلق بالبنية العسكرية للتنظيمات, ونوعية العدو المستهدف والاستراتيجية المتبعة في مواجهته, إضافة إلى اختلافات عقدية بينها في تطبيق الأحكام الشرعية, فمنها المتشدد الغالي إلى أقصى حد في تطبيق الأحكام والغلو في العنف والتنفيذ الحرفي للحدود, كداعش مثلاً, ومنها ما هي أقل تشددا.
4. تنوعت الأسباب والبواعث الدافعة إلى نشوء هذه التنظيمات الجهادية المتطرفة وخلق بيئة خصبة لها, فمنها ما كانت فكرية, ومنها ما كانت بسبب المناوشات السياسية, وأخرى بسبب تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.
5. إن من أسباب نشوء هذه التنظيمات المتطرفة إساءتها فهم جملة نصوص دينية من الكتاب والسنة, وذلك بسبب تمسكها الحرفي لها دون تغلغل وتعمق إلى فهم فحواها, كمسألة الجهاد, والحاكمية وغيرهما, علماً أن الفهم هو الذي يحدد فكر الإنسان وتصوره, وبناءاً على ذلك الفكر والتصور تأتي الحركة والعمل.
6. تعد الأسباب الفكرية الناتجة عن غياب الوعي الديني وقلة التفقه في الدين, والجهل بالنصوص والأحكام, وبمقاصد الشريعة, واتباع الأهواء والمتشابهات, من أبرز وأهم أسباب تنامي الفكر المتطرف والإرهاب
7. تتمتع وسائل الإعلام بأنواعها بمكانة وأهمية كبيرة داخل التنظيمات الجهادية المتطرفة, إذ تعتبر إحدى الأسلحة المعنوية التي لا يمكن الاستغناء عنها, لإبراز قوة التنظيمات وشرعنتها وديمومتها, وإيصال فكرها ومنهجها التكفيري إلى العالم, لاستقطاب الشباب, والحصول على الدعم المادي واللوجستي من مختلف الأطراف.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

أولاً: الكتب:

1. إبراهيم,ف, 2015م, **داعش من النجدي إلى البغدادي**, مركز أوال, بيروت, ط1.
2. ابن أبي شيبة ,ع, 1409هـ, **المصنف في الأحاديث والآثار**, ت: كمال يوسف الحوت, مكتبة الرشد – الرياض, ط1.
3. ابن أبي العز ,ص, , 1426هـ- 2005م **, شرح العقيدة الطحاوية**, (ت: 792هـ), ت: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني, ط1, دار السلام, مصر, ط1.
4. ابن الأثير,م, 1399هـ - 1979م, **النهاية في غريب الحديث والأثر,** ت: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي, المكتبة العلمية - بيروت.
5. ابن تيمية , ت, 1419هـ - 1999م, **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**, ت: ناصر عبد الكريم العقل, دار عالم الكتب، بيروت-لبنان, ط7.
6. ابن تيمية ,ت **,** 1420هـ-2000م, **النبوات**, ت: عبد العزيز بن صالح الطويان, أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية, ط1.
7. ابن قيم الجوزية , م, 1418هـ - 1997م, **أحكام أهل الذمة**, يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري, رمادى للنشر – الدمام, ط1.
8. ابن كثير, أ, 1420هـ - 1999 م, **تفسير القرآن العظيم**, ت: سامي بن محمد سلامة, ط2, دار طيبة.
9. ابن ماجة, م, 1430 هـ - 2009 م, **سنن ابن ماجه**, ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون, دار الرسالة العالمية, بيروت -لبنان، ط1.
10. أبو دامس, ز, 2005م, **أثر تطور التكنلوجي على الإرهاب**, عالم الكتب الحديث, إربد –الأردن, جدارا للكتاب العالمي, عمان-الأردن, ط1 .
11. أحمد,م, 2004م, **تجديد الموقف الإسلامي في الفقه والفكر والسياسة**, دار الفكر, دمشق, ط1.
12. اسبينداري,ع, 2006م, **الإرهاب من منظور قرآني**, مطبعة هاوار, كوردستان-دهوك, ط1.
13. الألباني, م, 2016م, **تفريغ سلسلة الهدى والنور**, الإصدار الرابع.
14. البخاري,م, 1407 هـ– 1987م **, الجامع الصحيح**, دار الشعب – القاهرة, ط 1.
15. البكري,ع, , 2014م, **داعش ومستقبل العالم بين الوضع السياس والحديث النبوي**, دار الغرباء, كولن–ألمانيا.
16. البيضاوي, ن, 1418 هـ , **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**, ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي, دار إحياء التراث العربي – بيروت, ط1.
17. البيهقي, أ, 1344 هـ, **السنن الكبرى**, مجلس دائرة المعارف النظامية, الهند, حيدر آباد, ط 1.
18. الجراد,س, 2014م, **ظاهرة التطرف الديني الواقع والتطبيق**, دار العصماء, سورية – دمشق, ط1.
19. جلال عزالدين, أ, 1986م, **الإرهاب والعنف السياسي**, دار الحرية , القاهرة.

20. الحيدري , إ, , 2015م, **سوسيولوجيا العنف والإرهاب**, دار الساقي, بيروت-لبنان, ط1.
21. الخزاعي,ح, 2015م, **داعش وأثره على الأمن القومي**, دار الحكمة-لندن, ط1.
22. خواجة,م, **التطرف الديني ومظاهره الفكرية والسلوكية**, مؤسسة مؤمنون بلا حدود, الرباط – المملكة المغربية.
23. خواجه,م, 2016, **القاعدة الجيل الثالث رؤية عسكرية**, دار الفارابي, بيروت-لبنان, ط1.
24. داير,غ, , 2015م , **فوبيا داعش وأخواتها**, ترجمة رامي طوقان, الدار العربية للعلوم ناشرون, بيروت -لبنان, ط1.
25. الدليمي,ع, , 2013م , **الإعلام الإسلامي**, دار المسيرة, عمان, ط1.
26. الرازي,م, 1420 هـ, **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**, دار إحياء التراث العربي, بيروت, ط3.
27. رضا ,م, 1990م , **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**, الهيئة المصرية العامة للكتاب.
28. الريس,ع, 2006م , **البرهان المنير في دحض شبهات أهل التكفير**, دار الإمام مالك, أبوظبي- الإمارات, دار البينة, الرياض – السعودية, ط1.
29. الزَّبيدي ,م, **تاج العروس من جواهر القاموس**, ت: مجموعة من المحققين, دار الهداية.
30. سري الدين, ع, 2016 م. **الدولة الإسلامية جذورها ومستقبلها**, دار الفارابي, بيروت-لبنان, ط 1.
31. الشاطبي, إ, ، 1429 هـ - 2008 م , **الاعْتِصَام**, ت: محمد بن عبد الرحمن الشقير, وآخرون, دار ابن الجوزي, المملكة العربية السعودية, ط 1.
32. الصرهيدي,م, 1419,هـ, **حقيقة الارهاب المفاهيم والجذور**, العبيكان, الرياض.
33. الطبري , م, 1420 هـ - 2000 م, **جامع البيان في تأويل القرآن**, محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، ت: أحمد محمد شاكر, مؤسسة الرسالة, بيروت- لبنان, ط1.
34. طحان, أ, 2007م, **الحركات الإسلامية بين الفتنة والجهاد**, دار المعرفة, بيروت- لبنان, ط1.
35. طعيمة,ص, 2005م , **الدولة والسلطة في الاسلام**, مكتبة مدبولي, القاهرة, ط1.
36. عاكوم,ف, , 2014م, **داعش الكتاب الأسود**, دار أملي- القاهرة, ط1.
37. عبدالباقي,م , 1945م,**المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**, دار الكتب المصرية, القاهرة.
38. عبدالحكيم,م, 2015م, **داعش مارد العصر الأخير**, دار الكتاب العربي, دمشق – القاهرة,ط1.
39. عبدالحميد,م, 2002م, **العولمة من المنظور الإسلامي**, ط1, 1422هـ.
40. العتيبي , أ, 2010م, **تحذير الشباب من التطرف والإرهاب**, دار الفرقان, القاهرة, ط1,.
41. العسقلاني,أ, **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة - بيروت، ت: محب الدين الخطيب.
42. عطوان,ع, 2015م, **الدولة الإسلامية الجذور ,التوحش, المستقبل**, دار الساقي, بيروت- لبنان, ط3.
43. العك, خ , 2009م, **عوامل التطرف والغلو والإرهاب وعلاجها في ضوء القرآن والسنة**, دار المكتبي, سورية-دمشق, ط3.
44. علوش,م, 2015م, **داعش وأخواتها من القاعدة إلى الدولة الإسلامية**, رياض الريس, بيروت – لبنان,ط1.
45. العواجي, إ, 1988م, **إسهام الإعلام في جهود مكافحة الجريمة**, المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب, أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية, الرياض.
46. الغريب,ف,2015م, **دولة الخلافة الإسلامية التنظير السلفي الجهادي**, دار الولاء, بيروت, ط1.
47. القرضاوي, ي, 2007م, **الإسلام والعنف نظرات تأصيلية** , دار الشروق, القاهرة, ط2.
48. القرضاوي,ي, 1402هـ, **الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف**, القطر, ط3.
49. القرطبي,م, 1423 هـ- 2003 م, **الجامع لأحكام القرآن** ,ت: هشام سمير البخاري, دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية.
50. كوكبيرن, ب, 2015م, **داعش عودة الجهاديين**, ترجمة: ميشلين حبي, دار الساقي, بيروت- لبنان, ط1,.
51. مجموعة من الباحثين, 2016م, **داعش والجماعات القتالية دراسات عربية وغربية**, مركز نماء للبحوث والدراسات, بيروت-لبنان, ط1.
52. محمد,ج, 2015م , **داعش إعلان الدولة والصراع على البيعة**, المكتب العربي للمعارف, مصر- القاهرة, ط1.
53. مكاوي,ن, وآخرون , 2016م , **تنظيم الدولة دراسة تحليلية في بنية الخطاب**, مركز صناعة الفكر, بيروت-لبنان, ط1.
54. مناع,هـ, 2014م, **خلافة داعش**, بيسان, بيروت-لبنان, ط1.
55. موسى,ع, , 1438هـ - 2017م, **ظاهرة العنف السياسي في العراق بعد عام 2003 دراسة في الأسباب وسبل المواجهة**, دار غيداء, المملكة الأردنية الهاشمية, ط1.
56. إبراهيم,ن, و النجار ,هـ, 2015م , **داعش السكين التي تذبح الإسلام**, دار الشروق, القاهرة, ط2.
57. النووي ,م , 1392هـ **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**, دار إحياء التراث العربي – بيروت, ط 2.
58. النيسابوري,م, **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**, ت: محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي – بيروت.
59. الهاشمي,ع , 2015م, **تحذير الطائش من ضلال داعش خوارج العصر**, دار ماجد عسيري, مصر, ط1.
60. الهاشمي,هـ, 2015م , **عالم داعش تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام من النشأة إلى الخلافة**, دار الحكمة –لندن, دار بابل- بغداد, ط1.

ثانياً: البحوث:

1. أحمد,ض,2014م, **الأبعاد الفكرية والعقائدية للجماعات الإسلامية الجهادية المتشددة (بوكوحرام النيجيرية نموذجاً)..** محاضر – مركز أبحاث ودراسات السلام – جامعة نيالا, السودان.
2. الجحني,ع, 2001م, **الإرهاب الفهم المفروض للإرهاب المرفوض,** أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية, الرياض.
3. الحسين,أ, **أسباب الإرهاب والعنف والتطرف دراسة تحليلية**, موقع حملة السكينة.
4. السدلان,ص, 2004م, **أسباب الإرهاب والعنف والتطرف,** جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, المملكة العربية السعودية. على موقع الإسلام, http://www.al-islam.com
5. مرتضى,أ, 08-04-2014م, **جماعة (بوكو حرام).. نشأتها ومبادئها وأعمالها في نيجيريا**, على رابط:http://forum.islamstory.com /

ثالثاً: التقارير:

1. إبراهيم,أ, 2015/8/20م, **بوكو حرام أزمة التعددية الدينية في نيجيريا**, على رابط: http://www.masralarabia.com
2. إبراهيم, د, 1/31/ 2016م, **تأثير الصراعات الدينية على الشرعية السياسية للنظام السياسي المنتخب في نيجريا,** المركز الديمقراطي العربي على رابط: https://democraticac.de/?p=26784
3. أبو العصاري, ف, 14/نيسان/ 2013, **لمحات عن الإرهاب في العصر الحاضر**, السكينة, على رابط:http://www.assakina.com
4. أبو هنية, ح, 2015/2/22م, **البناء الهيكلي لتنظيم الدولة الإسلامية**, على رابط: http://studies.aljazeera.net
5. خليل,ص, 2011/9/19م, **جماعه بوكو حرام: نشأتها وأصولها الفكرية والمواقف المتعددة منها**, على رابط: https://drsabrikhalil.wordpress.com
6. راضي,ع, 2014/6/16, **خفايا تنظيم (داعش) الذي يهدد استقرار العراق وأخطر قادته**,على رابط: http: // mail.burathanewscom
7. رويح, ع , 2016/8/14, بوكو حرام: زعيم جديد، انقسام جديد, على رابط: http://annabaa.org
8. الزيات,م, 2/20/ 2014م, **خريطة جماعات المعارضة المسلحة في سوريا**, المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية, العدد52 القاهرة.
9. عامر,م ,27/ نيسان/ 2016م, **داعش والنصرة دراسة مقارنة في الفكر التكفيري**, على رابط: http://idrak4stp.com).
10. عقوب, ن, 2 /2014/9م, **جماعة أنصار الشريعة الليبية وعقيدتهم**, على رابط:http://almanaramedia.blogspot.com
11. القصير,ع, 2016/7/1, كيف أصبح داعش التنظيم الأرهابي الأقوى والأثرى في العالم,على رابط: http://www.mubasher24.com
12. كايد,ع, 1/25/ 2014م, **الصراع بين "الجبهة الإسلامية" و "داعش" الإسراف في القتل قبل الأيديولوجيا**, على رابط:http://www.alhayat.com
13. كيلو,م, 9 كانون الثاني 2014م **, لا تقارنوا جبهة النصرة بداعش, صحيفة النهار**, على رابط:https://www.annahar.com /
14. المصطفى, ح, تشرين الثاني/ 2013م **, جبهة النصرة لأهل الشام من التأسيس إلى الانقسام**, المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات, العدد:5.
15. نسيره,ن, 8/شباط/2016, **بوكوحرام الداعشية في أفريقيا..النشأة والصعود والتحولات**, جريدة الشرق الأوسط, العدد 13586, على رابط:node http: // aawsat.com/

رابعاً: المواقع الإلكترونية:

1. الحسيني,ج, 2/ذو الحجة/ 1428هـ, **وقفة مع قوله ﷺ: (لقد جئتكم بالذبح),** جريدة الجزيرة الالكترونية, العدد: 12857.
2. الجولاني, أ, 2013/4/11م,**كلمة أبو محمد الجَولاني**, موقع يوتيوب, على رابط:https://www.youtube.com

رێکخراوەجیهادیەکانی هاوچەرخو هۆکارەکانی سەرهەڵدانیان

محەمەد شاکر محەمەد صالح
ئەندامی پەرلمانی عیراق/ بەغداد

هاوژین محەمەد مەحمود دێرەبروشی
کۆلێژی زانستەئیسلامیەکان/ زانکۆی سەلاحەدین-هەولێر

پوختە

سوپاس وستایش بۆ خوای باڵا دەست , ودرودو سلاو بۆ گیانی پیغەمبەر موحەممەد ویارو یاوەرانی

گەران بەدوای رەگ و ریشەی تیرۆر گروپە توند ئاژوویەکان و ئاگادار بوون لەهۆکارەکانی دروستبوونیان بابەتیکی یەکجار گرینگە, وپیویستە بە پشوویەکی دریژ لیکولینەوەی لەسەر بکرێت , چونکە ئێمە ناتوانین باس لە چارە سەر وساریژکردن بکەین بەبی ئاشنا بوون بەراستی و حقیقەتی ئەم دیاردە ترسناکە (دیاردەی توند رەوی تیرۆر) و وەستان لەسەر ئەو فاکتەرانە کە لەپشت دروستبوونی دەوەستین بەتیروانینیکی قوول دەتوانین بڵێین کەوا هۆکارەکانی توندو تیژی زۆرن و هەمە جۆرن , چونکە دەکریت هۆکارەکە سیاسی بێت یان ئابووری ,یان پەیوندی بە شیوازی پیگەیاندنی کۆمەلایەتیە,ودەکریت پاڵنەری فیکری و پەروەردەیی یا دەرونی لە دوای دروستبونی بێت. چونکە ئەم دیاردەیە دیاردەیەکی ئالۆزو تێکهڵکێشراوە .

هەول دەدەین لەم توێژینەوە باس لە گرینگترین هۆکارەکانی توندو تیژی بکەین بۆ ئەوەی ئاشنا بین بەرێگاکانی بنبڕکردنی و ڕیشەکێشکردنی ئەم دیاردەیە.

سوپاس و ستایش بۆ خوای باڵا دەست ,درودو سلاو بۆ گیانی پیغەمبەر محەممەد ویارو یاوەرانی.

وشە سەرەکییەکان: رێکخراوەجیهادیەکان, هۆکار, سەرهەڵدان.

Contemporary Jihadist Organizations and Reasons of its Emergence

Hawzheen Mohammed Mahmood Dirabroosh
College of Islamic Sciences- Salahaddin University-Erbil

Muhammed Shakir Muhammed Salah
Member of the Iraqi Parliament- Baghdad

Abstract

It is very important to write about the roots of terror and terrorist groups, and to discover reasons that cause those groups. For this reason, It is nessacary to study the phenomenon of terror and extremism because we cannot find solutions and remedies unless we determine its causes. By looking deeply, it appears that reasons of terror are different such as political, economic and social factors. In addition, it could be educational and psychological reasons. As a result, it is a complex phenomenon and we would to talk about it.

Keywords: Jihadist Organizations, Reasons, Emergence.